الفَصْلُ السَّادِسُ

تدخلات إيران في البلاد العربية وتصدير الثورة

اتسمت سياسة وزارة خارجية الثورة الإيرانية بمراحل عدة، مرت بها، وكل مرحلة لها سماتها من حيث أسلوب التدخلات الإيرانية ووسائلها، التي تتراوح بين سياسة التيار الديني المتشدد والمحافظ، وبين التيار الإصلاحي المسالم، وعمومًا فقد عانت سياسة وزارة الخارجية من تناقضات عدة، سببها تشابك التيارات الحاكمة، وتصادمها داخل الحكومة الإيرانية، فمثلًا حينما أفتى المرجع الديني بتكفير الكاتب البريطاني سلمان رشدي عن كتابه (آيات شيطانية)، أظهرت فتوى أخرى بعد وفاة الخميني، بالتراجع عن تلك الفتوى، ومثل ذلك ما ارتبط بالعلاقة مع دول الخليج وخاصة السعودية في عهد محمد خاتمي وزيارته إلى المملكة العربية السعودية، من مظاهر السلم والصادقة عمومًا، ودفع إيران مبالغ طائلة على أساليب الدعاية والإعلان ونشر المذهب، ويتبعها كثير من القنوات التلفزيونية، أو أنها تمد تلك القنوات بالرعاية والمال من أجل خدمة أغراضها في نشر أفكارها المذهبية، ومن تلك القنوات: قناة المنار اللبنانية، وهي قناة حزب الله اللبناني، الذي تدعمه إيران، إضافة إلى قنوات الأنوار الأولى، والأنوار الثانية، والمعارف -فورتين- وقناة المهدي، وقناة فدك، والفرات، وبلادي، وكربلاء، والثقلين، والغدير، والأوحد، والعهد، والكوثر، والمسار، والسلام، والمسار الأولى، والكوت، والعلم، ومجموعة العراقية، والفرقان، وطه، والسلام، وبريس تي في، والاتجاه، وهدهد للأطفال، وقناة الأفلام، وهادي للأطفال، وقناة الولاية، وقناة المصطفى، والإمام الرضا، والصراط الفضائية،

والنعيم الفضائية، وغيرها من القنوات، وبهذا تلتقي هذه الأدوات الإعلامية مع التوجهات الخارجية في الجانب الثقافي أو مشروع تصدير الثورة، وأيضًا تدخلات إيران الظاهرة، التي لا تخفيها في الأجهزة الرسمية للدولة، مثل مؤسسة الرئاسة، والوزارات، والمؤسسات الحكومية العراقية. ونذكر من هذه الأمثلة على تدخلات إيران في الانتخابات البرلمانية (الجمعية الوطنية) في ٢٠٠٥م، التي فازت بها أغلبية شيعية، المتمثلة في المجلس الأعلى الذي يقوده عبدالعزيز الحكيم، ويدعمه المرجع الشيعي الأعلى في العراق آية الله السيستاني، قد فاز ١٤٠ مقعد، وكذلك فازت القائمة العراقية التي يقودها رئيس الوزراء الشيعي إياد علاوي ٤٠ مقعدًا، كما فازت قائمة النخب والكوادر الوطنية المستقلة، التي يدعمها التيار الصدري ٣ مقاعد، وكذلك فازت منظمة العمل الإسلامي في العراق بمقعدين، ليبلغ عدد المقاعد التي فازت بها القوى الشيعية ١٨٥ مقعدًا من إجمال عدد المقاعد البالغ ٢٧٠ مقعدًا، لتتنافس بقية التيارات الأخرى فيها، وكان من مهام تلك الجمعية تشكيل حكومة مؤقتة، وصياغة دستور دائم للبلاد، وحسب النظام البرلماني أن الذي يفوز بأغلبية المقاعد، يستطيع السيطرة في الحكومة، ومن هنا كان تشكيل الحكومة لصالح القوة الشيعية، التي ذهبت أغلب الوزارات السيادية إليها، بالإضافة إلى صياغة دستور مفصل حسب الطلب والرغبة الإيرانية، وصار أمر الحكم في قبضة رجال الشيعة، الذين عاش أغلبهم في إيران، بل وإن كثيرًا منهم إيراني الجنسية، ومن أهم هذه الشخصيات التي رسمت اسمها على اللوحة العراقية النازفة، نذكر منهم:

١- هادي فرحان العامري، رئيس لجنة الأمن والدفاع.

٢- محمد حسين صالح الحسيني، كان يعمل في فيلق بدر في إدارة التخطيط والمشروعات، ولا يزال قياديًّا فيه.

٣- عبدالكريم عبد الصاحب محمد، يعمل في قوات الحرس الثوري، منذ تاريخ ١٩٨٣م.

٤- داغر جاسم كاظم، عضو في قوات الحرس الثوري برتبة عميد، وهو متخرج من كلية القادة والأركان، التابعة للحرس الثوري في طهران.

٥- حسن راضي كاظم الساري، أمين عام حركة حزب الله العراقي.

٦- محمد راج علوان المرزوق، هرب إلى إيران عام ١٩٨٦م، بعد أن كان في الجيش العراقي قائدًا في أثناء الحرب العراقية الإيرانية، والتحق بقوات الحرس الثوري الإيراني.

٧- قاسم عطية الجبوري، وهو ضابط في الحرس الثوري الإيراني.

والقائمة تطول بالأسماء بالإضافة إلى العلماء الدينيين، أمثال (آية الله السيستاني)، الذى ولد بخرسان عام ١٩٣٠م، ثم التحق بالنجف منذ العام ١٩٥١م، حتى أصبح خليفة لأستاذه أبي القاسم الخوئي عام ١٩٩٢م، وهو يحمل الجنسية الإيرانية، وغيرهم كثير في مؤسسات الدولة العراقية[١]، فقد مرت السياسة الخارجية الإيرانية بمراحل عدة لكل مرحلة سماتها، ويمكن إيجازها فيما يلى:

المرحلة الأولى: هي المرحلة التي بسط فيها الاتجاه الليبرالي الإصلاحي، الذي اعتمد فيها على سياسة حسن الجوار مع الدول والحكومات الأخرى (١٩٧٩-١٩٨٠م).

المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي وصفت بالراديكالية المتشددة، والتي اعتمد فيها التيار الراديكالي على أسلوب التعامل مع الشعوب دون الحكومات، وهي فترة الحرب العراقية الإيرانية في عام (١٩٨٠-١٩٨٨م)، وعلى مدى هاتين المرحلتين اللتين امتدتا من (١٩٧٩-١٩٨٨م) انضمت إلى الدبلوماسية أربع مجموعات ثورية للعمل الدبلوماسي، وهي كما يلي:

---

(١) الفنجة هاشم داود: المصدر السابق، ص١٢٥-١٥٧.

١- مجموعة الإمام الخميني، وهم الذين قاموا بالاستيلاء على مقر السفارة الأمريكية عام ١٩٧٩م، وقاموا باعتقال الرهائن، وكان معظم هؤلاء من طلاب الجامعة، منهم: حسين شيخ الإسلام، نائب وزير الخارجية السابق. وحسين ملاءك، سفير إيران الأسبق في سويسرا. ومهدى مصطفوي، سفير إيران الأسبق في ألمانيا.

٢- أنصار منظمة مجاهدي الثورة الإسلامية، التي كان على رأسها المهندس بهزاد نبوي، وزير الصناعة الأسبق، وضمت أغلب المتشددين، مثل: مير محمود موسوي، شقيق المهندس حسين موسوي رئيس الوزراء ووزير الخارجية الأسبق. ومحمود واعظي، مساعد وزير الخارجية للشؤون الأوربية والأمريكية. وحسين موسيان، الذي عمل سفيرًا بألمانيا.

٣- مجموعة أبناء الفقهاء وكبار التجار، وكان من بينهم: علي محمد بشارتي، وزير الداخلية الأسبق، وعمل وكيلًا لوزارة الخارجية. وحجة الإسلام هادي خسرو شاهي، عمل سفيرًا في الفاتكان. ومحمد كاظم خوانساري، عمل مشرفًا على دائرة شمال أفريقيا والشرق الأوسط. ومحمد هاشمي رفسنجاني، شقيق علي أكبر رفسنجاني، الذي عمل رئيسًا لمكتب لبنان وفلسطين والأردن. ود. كمال خرزاي، وزير الخارجية في تلك الحقبة، وعمل مندوب إيران لدى الأمم المتحدة.

٤- مجموعة الحراس الثوريين والمنتسبين إلى الأجهزة الأمنية، الذين تم عزل الكثير منهم من الخارجية، وبقي البعض منهم، مثل: علي قمي، قنصل إيران الأسبق في جدة. ورسول قصاب، قنصل إيران الأسبق في فرانكفورت. ومحمد حسين فروغي، القائم بالأعمال الأسبق في الكويت. وعباس زماني، قائد الجيش حرس الثورة.

المرحلة الثالثة: وهى مرحلة التوجه المعتدل (١٩٨٨-١٩٩٧م)، وتطبيع السلوك الخارجي، وتزايد تحسين علاقات إيران مع العالم الخارجي، التي كانت فيها علاقتها: إما مقطوعة أو انخفض فيه التمثيل الدبلوماسي، وعمل رفسنجاني إلى خفض مستوى العنف بالخارج، وعملت الخارجية إلى تأمين مصالح البلاد الخارجية، ودعم التعاون الإقليمي، الذى تمثل في إحياء منظمة إكوا للتعاون الاقتصادي، والزيارات التي قام بها رفسنجاني إلى دول عدة، مثل: كينيا والسودان وتنزانيا وأوغندا وجنوب أفريقيا، أو لدول آسيا الوسطى، مثل: طاجيكستان. وأبدت الخارجية الحوار مع دول الاتحاد الأوربي، وقد شاركت الخارجية في المؤتمرات الدولية، وسجلت حضورًا فاعلًا، وضمت بين صفوفها عناصر من اليمين والوسط إلى جانب المتشددين، وكذلك من حولوا انتماءاتهم من التشدد إلى الاعتدال، مثل: محمود واعظي، ومحمد علي هادي نجفي، وأحمد موسويان. وقد سعت إيران خلال تلك التغيرات إلى تحقيق عدد من الأهداف والمصالح، لتأكيد مكانتها على الساحتين الدولية والإقليمية، منها:

أ- تأكيد دورها في المنطقة العربية والخليج العربي، ودعمه.

ب- كسر العزلة الدولية التي فرضت عليها.

ج- الانفتاح على الغرب، وفتح أسواق جديدة لمنتجاتها.

د- الحصول على المساعدات المالية والاقتصادية.

هـ- دعم القوة العسكرية الإيرانية.

و- إثبات دورها الإقليمي بالمشاركة في تسوية المشكلات المتعلقة بها.

المرحلة الرابعة: ما بعد ١٩٩٧م، اتسمت هذه المرحلة بتولي التيار المتشدد المحافظ، الذي قام بسعي حثيث إلى تصدير الثورة والتدخل في العراق والشام

ولبنان واليمن، والانتقال من التدخل السلمي إلى التدخل بالقوة العسكرية[١]، وقد شهد شاهد من أهلها، وهو الكاتب عباس خامه يار في كتابه: (إيران والإخوان المسلمين) قائلًا: «... وأنا عندما أرى انتفاضة الشيعة الإيرانيين، وزحفهم البطيء، ذا النفس الطويل إلى منطقة الخليج والبقاع المقدسة، من حقي أن أضع هذه التحركات في إطارها التاريخي إلى أجواء انتفاضتهم القديمة، وسعيهم الدؤوب إلى إقامة امبراطورية فارسية شيعية، تعيد مجد كورش وقمبيز ودارا على أنقاض مجد سعد بن أبي وقاص، والمقداد، والمثنى بن حارثة، صناديد الفتح الإسلامي لبلاد الفرس، وعندئذ يحق لي أن أتخوف على مستقبل بلادي، لأنني أعرف جيدًا، كم يحن الشيعة إلى استرداد مصر إلى حظيرة التشيع، وأنا عندما أرى طائفة (البهرة) تنفق عشرات الملايين من الدولارات على مقصورة الحسين والسيدة زينب وتجديد مسجد الحاكم بأمر الله، يكون من حقي أن أشعر بالقلق، لأنني أعرف أن البهرة لم ينفقوا هذه الملايين لله، وليس من السذاجة أن ينفقوها لتجديد مسجد لا يصلون فيه. ويربط الكاتب بين الثورة الإسلامية والثورات الشيعية السابقة، محذرًا المسلمين من هذا الخطر، قائلًا: «أينما نظرت في أي صفحة من صفحات التاريخ الإسلامي، فسوف تقف أمام عنوان ثابت اسمه: الانتفاضات الشيعية». تجد ذلك في حركة محمد ذي النفس الذكية بالمدينة المنورة عام ١٤٥هـ، وحركة إخوته الثلاثة: إبراهيم بالبصرة، ويحيى في بلاد الديلم، وإدريس الذي فر إلى المغرب، ونجح في إقامة دولة الأدارسة (١٧٢)، وحركة الحسين بن علي بالمدينة (١٦٩)، وحركة محمد بن إبراهيم والي السرايا بالكوفة (٢٠٢)، وحركة إبراهيم بن موسى الكاظم باليمن

(١) د. بيزن ايزدي: (مدخل إلى السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية)، ص١٢ وما بعدها، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م، عباس خامه يار: (إيران والإخوان المسلمين)، تعريب: عبدالأمير الساعدي، ص٢٠٦ وما بعدها، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

(٢٠٠)، وحركة عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله باليمن (٢٠٧)، وحركة محمد بن القاسم ابن عمرو بن علي بن زين العابدين في خراسان (٢١٩)، وحركات متوالية بصفة منتظمة، وبعدها ينذر «وأقول لكم في ختام هذا الحديث ما قلته في صدره: انتبهوا أيها المسلمون إلى ما يدبر لكم في الخفاء، إن التحركات الشيعية تسير وفق مخطط دقيق، يهدف إلى إثارة الفوضى والقلاقل في منطقة الخليج والجزيرة، على أمل أن تسقط في براثن الإمام ....».

تدخلات إيران في اليمن:

إن تدخلات إيران في اليمن أمر قديم منذ عصر ما قبل الإسلام، حيث كان تتجاذبه القوة الساسانية الفارسية، والقوة الرومانية، ممثلة بالحبشة، واستخدم الساسانيون اليهود في اليمن لتثبيت مركزهم وكعيون لهم ضد الدولة الرومانية، كما استخدمت الحبشة الديانة النصرانية للوقوف ضد الفرس واليهود، خاصة في صراع نجران.

إيران والحوثيون:

إن الحوثيين على مذهب الشيعة الزيدية الجارودية، وهو مذهب قديم اختلف مع الزيدية في تأثيم أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حيث ترى الجارودية أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحق بالخلافة منهم، فكانت الجارودية تسب الخلفاء الثلاثة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، على خلاف الزيدية الذين يرون صحة الخلافة، وتقدم الفاضل على المفضول، وبعد مجيئ الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م مدت تدخلاتها في اليمن، فوجدت هذه الثغرة المذهبية التي يلتقي فيها مذهب الشيعة الإثنا عشرية مع الحوثيين، وقد استضافت عبدالملك الحوثي لتدريسه في قم، وبعد رجوعه إلى اليمن وبتأييد من إيران، قام بترتيب الحوثيين وجمعهم، ودفع نفوذهم السياسي داخل اليمن، ثم ضد المملكة العربية السعودية. فقد شهد محمد العوفي أمام

تليفزيون السعودية بأن إيران عن طريق القاعدة تتدخل في الحوثيين محرضةً لهم ضد السعودية. وإيران اليوم تمد الحوثيين بالأسلحة عن طريق التهريب في البحر لاستدامة الحرب مع السعودية، خدمةً للمصالح الإيرانية.

ويرجع النشاط الحوثي الحديث إلى سنة ١٩٨٢م، حيث بدأ صلاح أحمد فليته الذي أسس اتحاد الشباب، وكان محمد بدر الدين الحوثي يدرس هؤلاء الشباب مبادئ الثورة الإيرانية، وفي سنة ١٩٨٨م تجدد نشاط الحوثيين بعناصر من الحكم الإمامي اليمني، والذين كانوا قد التجئوا إلى السعودية بعد ثورة السلال سنة ١٩٩٦م، وكان من أبرزهم مجد الدين المؤيدي، وبدر الدين الحوثي، وفي سنة ١٩٩٠م حين تأسيس حكومة الجمهورية اليمنية، وانتشار حرية تأسيس الأحزاب السياسية، قام شيعة اليمن بتأسيس الأحزاب التالية:

حزب الثورة الإسلامية، حزب الله، حزب الحق، اتحاد القوى الشعبية اليمنية.

وتفرغ حسين بدر الدين الحوثي لتربية الشباب الحوثيين متلقيًا الدعم من إيران أو من قصر الرئاسة. وكان حسين الحوثي يمثل المؤتمر الشعبي العام الحاكم ما بين سنة ١٩٩٣م إلى ١٩٩٧م. ونقل جهوده إلى شباب منطقة حيدان دون ترخيص سماها بالحوزة.

وجمع علماء الحوثيين وحزب الحق، حيث تركزت جهودهم في صعدة. وامتد نشاط الحوثيين إلى مناطق أخرى، أنشؤوا فيها مدارس عدة، وحوزات قاموا فيها بتدريب الشباب على السلاح، بدعوى محاربة إسرائيل، ولكنهم مع الأسف تبنوا نشر أفكار الشيعة الإثنا عشرية، متأثرين بالإيرانيين، وما درسه بعضهم في قم، وقاد الشباب إلى مظاهرات ضد أمريكا حين غزوها للعراق، فقامت الحكومة بإغلاق حوزاتهم وأنشطتهم، فتحولوا إلى حركة سرية عسكرية، خزنوا أسلحتهم في جبال مران، فواجه الحوثيين بعصيان مسلح مدة ثلاثة أشهر،

انتهى بهزيمتهم، وكتابة تعهدات عليهم سنة ٢٠٠٤م، وقد نقل أن الحوثي حسين يتبنى فكرة التمهيد لظهور المهدي المنتظر، كما هو عند الشيعة الإمامية، حيث يلتقي مع التوجهات الإيرانية في الاستيلاء على الحرمين الشريفين ومهاجمة السعودية [١] وقد أثبتت الوقائع قيام الإيرانيين بتدريب الحوثيين وإمدادهم بالسلاح والخبراء. وسعى الإيرانيون إلى تحريض الحوثيين واليمن الجنوبي على الانفصال، كما حرضوا على المطالبة ببعض أجزاء من جنوب السعودية كجيزان وغيرها لضمها إلى اليمن. وقد أثبتت الوقائع قيام إيران بتهريب الأسلحة إلى الحوثيين عن طريق عملائها في كل من جيبوتي وأريتريا. وقد أنهكت ثورات الحوثيين الستة اليمن وإعاقة التنمية والأموال التي بذلتها دول الخليج في إصلاح اليمن، ولما ضاقت المملكة العربية السعودية ذرعًا بتدخلات إيران في اليمن، وتبين أن إيران مستمرة في نهجها التوسعي، لتحقيق حلم الإمبراطورية القديم. قامت السعودية بضرب قوة الحوثيين وجيش عبدالله صالح المتحالف معهم، وتلوح الآن بوادر انتصار التحالف ضدهم[٢].

وقد فضح العوفي وهو من القاعدة في اليمن دور إيران، وتدخلها في مد القاعدة والحوثيين بالمال والسلاح[٣]، وقد أورد كينث ار تيمرمان في كتابه: (العد العكسي للأزمة المواجهة النووية مع إيران) وثيقة إيرانية تقول: «وقد أشار المرشد الأعلى للثورة أنه في اجتماعنا المقبل علينا أن نقوم بتحليل المشكلات الأيديولوجية واللوجستية، التي تعترض بلوغ أهدافنا وتحسين خططنا خصوصًا مع مقاتلي القاعدة وحزب الله...»، كما أورد الكاتب أن عماد مغنية كان هو حلقة بين النظام الإيراني والقاعدة[٤].

---

(١) السيد أبوداود: (تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي)، ص١٦٧، العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م.

(٢) السيد أبوداود: تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي، ص١٦٤ وما بعدها، العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م.

(٣) جميل الذيابي: إيران ورقصة السرطان، ص١٧٥ وما بعدها، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، ٢٠١١م.

(٤) كنيث آر. تيمرمان: العد العكسي للأزمة المواجهة النووية مع إيران، ص٣٧٠.

تدخلات إيران في البحرين:

سبق أن أشرنا إلى احتلال إيران للبحرين في عهود مختلفة، منها في العهد الصفوي، وفي سنة ١٩٢٧م قدمت إيران طلبًا لعصبة الأمم المتحدة تطالب بضم البحرين، بدعوى أنها أراضي إيرانية، وقد تحفظت إيران سنة ١٩٤٥م ضد الولايات المتحدة مدعية بأحقيتها بنفط البحرين، وفي سنة ١٩٨٠م قبضت الحكومة البحرينية على مجموعة حاولت عمل انقلاب مدعومًا من إيران، وفي سنة ١٩٩٠م وجهت حكومة البحرين اتهامًا لإيران بأنها تقوم بتدريب وتمويل الشيعة البحرينيين بقصد الاستيلاء على الحكم، وفي سنة ١٩٩٦م كشفت البحرين عن تنظيم بين الشيعة باسم حزب الله البحريني مع وجود الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين، مما أدى إلى سحب البحرين سفيرها من طهران، واستمر شيعة البحرين في مظاهرات، يقودها النفوذ الإيراني، مطالبة بمزيد من النفوذ السياسي للشيعية لحكم البحرين، وأدت المواجهات المتكررة بين الحكومة والمعارضين الشيعة إلى مقتل وجرح البعض من الطرفين في مناسبات عدة، كان لإيران فيها الدور التحريضي، وقد طالبت المعارضة بإنشاء ملكية دستورية، تتحدد فيها صلاحيات الملك بالدستور، الذي يجب أن يوافقوا عليه، ثم طالبوا بعد ذلك بإلغاء الملكية وإنشاء جمهورية إسلامية بحرينية، ولوضوح التدخل الإيراني بادرت قوات مجلس التعاون الخليجي لإجهاض هذه الحركة، وحركة المعارضة هذه اتخذت لها صفة طائفية، حيث كان قادتها من الشيعة العرب، أو من شيعة ذوي أصول إيرانية، وقد اتخذت إيران أسلوب التدخل المذهبي الهادئ، ليس فقط في البحرين، وإنما في جميع مناطق تصدير الثورة، ومن الإنصاف أن نذكر أن كثيرًا من الشيعة وخاصة العرب لا يقبلون سياسة النفوذ الإيراني، ويعلنون ولاءهم لأوطانهم، وسيأتي يوم يرتفع فيه صوت هؤلاء، لأنه هو الحق، كما سيأتي اليوم الذي تتحد فيه دول مجلس التعاون الخليجي، فتصبح دولة واحدة ونموذجًا لوحدة العرب، هذا هو الحل الأمثل، ليس فقط ضد النفوذ الإيراني، وإنما ضد

جميع الأطماع الأجنبية[١] منذ سنة ١٩٢٧م وإيران تكرر مطالبتها بالسيادة في البحرين، وكان الدافع لذلك هو اكتشاف النفط في البحرين، وقيام إيران بإعطاء امتياز للتنقيب واستغلال النفط للشركة البريطانية، وقالوا: إن هذا الامتياز يمتد إلى البحرين بوصفها أراضي إيرانية، وطالبوا بريطانيا باستغلال نفط البحرين، ودفع المستحقات التي تقرها المعاهدة، وأيد حزب توده في وقتها هذا التوجه، لكن بريطانيا في مناسبات عدة لم تقر أي حق لإيران في البحرين، وبوجود معاهدات تربط شيوخ البحرين مع بريطانيا، لا علاقة لإيران بها، وفى سنة ١٩٥١م، وعند قرار مصدق بتأميم النفط كررت إيران بأن التأميم يشمل الأراضي البحرينية، والحقيقة أن البحرين بقيت ضمن بلاد العرب منذ القدم، والملاحظ أن شيعة البحرين يستدعون قوة إيران حينما يحتاجون إلى ذلك، كما أن سنة البحرين كانوا يستدعون الدولة العثمانية أو القوة السنية في الجزيرة منذ قيام الدولة السعودية الأولى لمناصرة البحرين، والملاحظ منذ القدم أن القبائل العربية قد سكنت البحرين وما حولها من إمارة الزبارة والكويت، وعبروا إلى الجهة الشرقية، وسيطروا على الأحواز على التفصيل الذي قد ذكرناه في هذا الكتاب، ولا يعد الغزو لأهل البلاد مبررًا للسيادة عليها، فقد غزا الهولنديون البحرين مدة طويلة، ولم تتغير سيادة أهلها العرب عليها[٢].

تدخل إيران في الكويت:

يقدر عدد شيعة الكويت ما يقارب نسبة ٢٠ إلى ٣٠٪ من السكان، حسب تقرير الحريات الدينية الصادر سنة ٢٠٠٦م من الخارجية الأمريكية، وفي تقارير أخرى أقل من هذه النسبة، ويتكون شيعة الكويت: نصفهم من العجم

(١) محمد عبدالحليم أبوجاد: ردع إيران، ص٦٧ و٩٧ وما بعدها، الأجواد للنشر والتوزيع، الدوحة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

(٢) د. عبدالله محمد الغريب: وجاء دور المجوس، ص٢٩٧، ط٥، ١٩٨٧م.

الإيرانيين، والآخرون من أصول عراقية، من البصرة وما حولها، ومن الأحساء والبحرين، وقد قامت الكويت مع الأسف بتجنيس عدد كبير من الإيرانيين في الخمسينيات، فكانوا يفضلون على أهل السنة من الزبير وغيرها. ويتركز شيعة الكويت في مناطق الرميثية والشرق والدسمة ودسمان وبنيد القار والقادسية والجابرية وحولي، وأقلية في الجهراء، وتعترف حكومة الكويت بقضاء مستقل للشيعة في الأحوال الشخصية، وبهيئة أوقاف شيعية، مرتبطة بوزارة الأوقاف، كما يعمدون في عقد عزاء الحسين في حسينياتهم، خاصة في الرميثية. أما الانتماء السياسي لشيعة الكويت، ففيهم اليساريون التقدميون، وهم إلى جانب الحكومة، وفيهم إسلاميون يميلون إلى ولاية الفقيه وإيران، وإسلاميون من أتباع الشيخ الشيرازي، الذي كان مقيمًا في الكويت[1] وكان أصل الأتباع من الشيخية أتباع الشيخ أحمد الأحسائي، الذي انتشر مذهبه في العراق، مخالفًا بذلك ما يسمون بالأصوليين، وفي سنة ١٩٢١م امتنع شيعة الكويت عن المشاركة في معركة الجهراء، مدعين للمقيم البريطاني بأنهم ليسوا كويتيين بل إيرانيين، وفي سنة ١٩٣٨م طالب الشيعة بتمثيلهم في المجلس التشريعي، وفي المجلس البلدي، وشكوا بذلك إلى المقيم البريطاني طالبين التجنس بالجنسية البريطانية إذا لم يستجب لهم، وفي الكويت مدرسة إيرانية، يتم من خلالها انتشار التشيع حسب الأهواء الإيرانية، ومنذ الستينيات بدأ الشيعة في تكوين أنشطة اجتماعية وثقافية، امتدت فيما بعد إلى النشاط السياسي، كان منها جمعية الثقافة الاجتماعية، وجماعة الشيرازي المؤسس الروحي لمنظمة العمل الإسلامي في العراق، والذي طرد إلى الكويت، وقد ضعفت هذه الجماعة بسبب هجوم المرجع الديني في العراق الخوئي[2] على الشيرازي، وأنه غير مؤهل دينيًّا، وشارك

(١) مجيد خدوري: البحرين وإيران، ص٢٥ وما بعدها، وعد، البحرين، ٢٠١٤م.

(٢) جميل الذيابي: إيران ورقصة السرطان، ص١١٥، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض، ٢٠٠١م. السيد أبوداود: تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي، ص٢٠٢-٢١٦، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م.

الشيعة بعدد قليل في تمثيلهم في مجلس الأمة، فكانوا في البداية تابعين لصوت الحكومة، ولكن انقلبوا عليها بعد الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م، ما عدا بعض تجار الشيعة الموالين للحكومة، وبعد الثورة الإيرانية بدأ شيعة الكويت عمومًا بنشاط سياسي اتجه بعضه إلى أعمال إرهابية، تمثلت في محاولة اغتيال شيخ الكويت الشيخ جابر سنة ١٩٨٥م، وما أعقبها من تفجيرات إرهابية، كشفت الحكومة عن تلك التحركات، فتبين لها التدخل الإيراني في تدريب بعض شيعة الكويت على السلاح، وإمداد بعضهم بقصد تحقيق أغراض إيران في الكويت، ولم يكن جميع شيعة الكويت راضون عن ذلك، كما كشفت (طلائع تغيير النظام للجمهورية الكويتية)، (وصوت الشعب الكويتي الحر)، (ومنظمة الجهاد الإسلامي)، (وقوات المنظمة الثورية للرسول محمد في الكويت)، ويرى البعض أن هذه مسميات وهمية من ورائها حزب الله الكويتي، فأنشأ المركز الإعلامي الإسلامي الذي أصدر مجلة النصر في إيران، حيث أغلقت في عهد رفسنجاني، ولكنها أصدرت في بيروت ولندن، وكشفت مجلة الوطن العربي قيام حزب الله الكويتي بتقديم الدعم لشيعة البحرين، وتحركاتهم ضد الدولة، كما أشارت أيضًا لدعم حزب الله اللبناني للغرض نفسه، وتم كشف دورهم في أعمال التخريب، التي حدثت في موسم الحج سنة ١٩٨٩م، ويطالب شيعة الكويت بمطالب واسعة، تفوق حدود تمثيلهم النسبي، ورغبتهم في تحويل الكويت إلى دولة شيعية على غرار إيران، وفصل الكويت عن محيطها العربي، معارضين فكرة استكمال الوحدة السياسية بين دول مجلس التعاون، مستقوين بالنفوذ الإيراني على المنطقة في الوقت الحاضر، والمؤيد من القوى الغربية، بقصد تفتيت قوة العرب والمسلمين، ووضعهم في حروب تسحق رجالهم وسلاحهم فيما بينهم، وتدفعهم إلى تقسيم بلادهم إلى دول طائفية صغيرة، يسهل قيادتها، والتغلب عليها، وكبت نموها المستقبلي، الذي يتوجس منه الغرب وإسرائيل خيفة النهوض وتحقيق الوحدة[1].

(١) محمد عبدالحليم أبوجاد: المصدر السابق، ص١٧٤ وما بعدها. جميل الذيابي: إيران ورقصة السرطان، ص٧٠ وما بعدها، مكتبة العبيكان، ط٢، الرياض ٢٠١١م.

تدخلات إيران في العراق:

تدخل الدولة الفارسية في العراق قديم، فقد استولى الفرس على العراق في عهد الملك كورش وبمساعدة من اليهود، فقام كورش برد الجميل لليهود، بأن أرجعهم من السبي البابلي إلى فلسطين، وساعدهم في إعادة بناء الهيكل، وقبل الإسلام كان الفرس الساسانيون يحكمون العراق مباشرةً، واتخذوا المدائن (سلمان باك) عاصمةً لهم، وفي العهد الصفوي تجدد احتلال الإيرانيين للعراق مرات عدة، تقوم فيها الدولة العثمانية بطردهم. وفي العصر الحديث، فإن تدخلات إيران في العراق مستمرة، توظف فيها مذهب الشيعة الإثنا عشرية بوصفها حاميةً لهذا المذهب وللعتبات المقدسة. وآخر تدخلاتها كانت بعد الحرب الأمريكية ضد نظام صدام حسين، فقد ساعدت إيران ومراجعها الدينية الشيعية على احتلال أمريكا للعراق، ثم قامت أمريكا أخيرًا بتسليم العراق لإيران، ووضع العراقيين تحت النفوذ الإيراني وسيادة مذهب الشيعة الإثنا عشرية، وتطهير المناطق السنية من أهلها وحل محلهم الشيعة[1]، قام المرجع الديني السيستاني بتسهيل الغزو الأمريكي للعراق، وذلك بإصدار فتوى يطلب فيها عدم التعرض للمحتلين الأمريكان أو مقاومتهم، وهذا يوضح كيف أن مقاومة الجيش العراقي للمحتلين في البداية من جنوب العراق وسفوان، استمرت المقاومة الشرسة ضد الأمريكان ولأيام عدة، ولكنها أصبحت سهلة بعد تلك الفتوى، وتقدمهم من الجنوب إلى بغداد، ولو أن جميع شيعة العراق وقفوا وقفة رجل واحد ضد الاحتلال، لتغيرت نتائج الحرب، ومع ذلك فقد كشفت الأخبار عن عدد كبير من القتلى الأمريكيين، فقد كان بعض الشيعة يقاومون مع السنة هذا المحتل، ولهول ما لاقاه الأمريكان من صمود العراقيين، ودفاعهم عن بلدهم، قرر الأمريكان

(١) سيد حسين: المصدر السابق، ص٢٩١. د. عبدالله محمد الغريب: وجاء دور المجوس، ص٢٦٤، ط٥، ١٩٨٧م.

اليوم في سياستهم ألا يخوض جيشهم حربا على الأرض، وقد ذكر أن الشيعة الإيرانيين كانوا يحذرون الأمريكان والأستراليين مما أعده الجيش العراقي في مقاومة الاحتلال، من ذلك ما أوردته مجلة الأسترالي من تنبيه الأستراليين في شط العرب: أن ثلاثة من الزوارق العراقية محملة بالمتفجرات متجة إليهم[١]، كما ذكر بأن إيران قد ساعدت الأمريكان على ضرب مجموعة أنصار الإسلام (السلفية) شمال العراق، وقامت بإرجاع الهاربين منهم من داخل إيران إلى الحدود العراقية، كما قامت إسرائيل بمساعدة من أمريكا بمد إيران بالأسلحة الأمريكية في أثناء الحرب العراقية الإيرانية، وما عرف بإيران جيت فضحتها طائرات نقل الأسلحة من إسرائيل إلى إيران، التي أصيب بعضها بعطل، أدى إلى سقوطها وفضح ما فيها، كما تدخلت مجموعات إيرانية عراقية، فشاركت الأمريكان في احتلال العراق، منها منظمة بدر وغيرها، وقدر عددها بأربعة آلاف من الحرس الثوري وفيلق القدس، انتشروا أيضًا في مهام مختلفة في العراق، وتمارس إيران نفوذها، وتنظيم عملياتها وتحركاتها عن طريق سفارتها في بغداد وقنصلياتها في كل من البصرة وأربيل وكربلاء والسليمانية، وهذه تضم عددًا لا يستهان به من العناصر، كما تجدر الإشارة إلى أن سياسة صناعة القرارات تجاه العراق، ليس هي مسؤولية جهاز المخابرات وحده، بل هي مهمة مجموعة مؤسسات في الدولة الإيرانية، تحت إشراف المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، أهمها وزارة الاستخبارات، والأمن، ومكتب المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي، والحكومة (مجلس تشخيص مصلحة النظام)، وفيلق القدس، والحرس الثوري الإسلامي، والمؤسسة الدينية (الحوزة بقم)، كما أعلنت المنظمة الإيرانية للدفاع عن القيم الإسلامية في ٢٠٠٤م عن وجود أكثر من ١٥ ألف إيراني، تطوعوا لتنفيذ عمليات انتحارية في النجف وكربلاء العراقيتين،

(١) السيد أبوداود: تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي، ص١٣٠ وما بعدها، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م.

وقد أفتى مؤخرًا المرجع الديني السيستاني بوجوب الجهاد ضد أعداء الأمة، فتكون العديد من المجموعات تحت مسميات ورايات مختلفة: عصائب جيش الحق، وجيش المختار، وكلها تأتمر بأوامر الولي الفقيه، فعم شررها بمحاربة أهل السنة، وإخلاء مدنهم، وإحلال محلهم أقوام من الشيعة[١]. وأصبح العراق مجموعة مليشيات تحت مسميات مختلفة من فرق وأحزاب ومنظمات، تديرها إيران وتسلحها، وأسند إليها مهام تصفيات جسدية لمخالفيهم من أساتذة الجامعات وقادة الجيش وطيارين. حتى تم هروب الكثير من السنة أو تهجيرهم إلى كردستان. وتحول التدخل الإيراني في العراق من تدخل عسكري وإداري إلى تدخل في مظاهر المجتمع العراقي في اللبس والطعام والثقافة، وانتشار الكتب المذهبية، وتعميم التحدث والكتابة باللغة الفارسية، والتبادل بالعملة الإيرانية، وتنظيم الإيرانيين لسياحة العراقيين في إيران، وزيارة مشهد وقم، وتدخلها في مناهج الكتب الدراسية. وربطت إيران بعض خطوط الكهرباء والغاز بينها وبين العراق، وسمحت بانفلات تهريب النفط العراقي، وبيعه في إيران، أو لصالح المليشيات الشيعية المرتبطة بها.

وقد تعدت التدخلات الإيرانية إلى جوانب الاقتصاد والثقافة، حيث توجد في العراق ما لا يقل عن ٣٠٠ شركة بين كبيرة ومتوسطة وصغيرة، تعمل في مجالات مختلفة، بالإضافة إلى الجانب الظاهر منها، لها أهداف مذهبية أخرى، ولها ارتباط مباشر بالسفارة الإيرانية، وقنصلياتها المنتشرة داخل العراق، ومن هذه الشركات والمنظمات، نذكر منها الآتي:

١- مؤسسة دار القرآن: هي مؤسسة متخصصة في المجال الثقافي، تنشط في وسط وجنوب العراق وفي بغداد، وهي تابعة مباشرة الى لفيلق القدس.

---

(١) الفنجة هاشم داود: العامل المذهبي ودوره في توجيه السياسة الخارجية الإيرانية تجاه العراق، ص١٥٠ وما بعدها، عمان، وسط البلاد، ٢٠١٧م.

٢- مؤسسة الإمام الهادي: يديرها قيادي في قوة القدس وفي فيلق بدر.

٣- شركة الوسام: تابعة لحزب الله العراقي، رئيسها إيراني الأصل، يعمل لصالح قوة القدس، وهو مسؤول في حكومة المالكي في منصب وزير دولة.

٤- مؤسسة المدينة المنورة: مقرها في البصرة، ورئيسها له ارتباط بفيلق القدس.

٥- مؤسسة الخطيب للثقافة الإسلامية: متخصصة في العمل الثقافي الإسلامي والإنساني، رئيسها إيراني الأصل، مقرها في محافظة ديالي.

٦- مؤسسة الإمام للإغاثة، تابعة لمكتب المرشد الأعلى علي خامنئي، ويتوزع نشاطها على دول عدة، إضافة إلى العراق: لبنان، سوريا، أذربيجان، طاجكستان، أفغانستان، فلسطين.

٧- مؤسسة الإمام الصادق: مقرها بغداد، وتعمل في مجال بيع الكتب الدينية، ويشرف عليها عنصران من قوة القدس.

٨- مؤسسة بالان: مقرها في منطقة بغداد الكاظمية، وتعمل في تأمين المال لقوات القدس وفيلق بدر وميليشيات المهدي في العراق.

٩- مؤسسة الكوثر: يرأسها العميد في الحرس الثوري الإيراني، لديها مكاتب في بغداد والبصرة وكربلاء وبابل، وتعمل أيضًا على توفير السلاح والعتاد لفيلق بدر والمجلس الأعلى وحزب الله، وغيرها من التنظيمات الشيعية.

١٠- مؤسسة الشهيد: مقرها الجنادرية، مسؤولها عضو قوة القدس، والقيادي في فيلق بدر أبو مسعود، ومهمتها دفع رواتب المنتسبين لفيلق بدر، والمجلس الأعلى.

وهناك شركات ومؤسسات كثيرة تعمل بأنشطة مختلفة في العراق، وكلها تتبع للنظام الإيراني، وتعمل بتنسيق تام مع الأجهزة الأخرى، والهدف واحد هو اختراق العراق مذهبيًّا تحت مسميات عدة، ولعل الأمر الأخطر على الإطلاق هو دعوة أحمد الجلبي رئيس المؤتمر الوطني العراقي، وهو حزب شيعي يؤمن

بولاية الفقيه، إلى إقامة حكم ذاتي في جنوب العراق خاص بالشيعة، يتألف من المحافظات الثلاثة، وهي البصرة والناصرية وميسان، التي تمثل أغلب إنتاج العراق من النفط، ويلتقي الجلبي في هذه الفكرة مع العديد من صناع القرار الأمريكي، الذين كان همهم الأول هو إضعاف هذا البلد، الذي كاد أن يصبح القوة التي تشكل تهديدًا للمصالح الأمريكية في المنطقة، وهذا الاتجاه يتزعمه المستشار السابق بوزارة الدفاع الأمريكي ريتشارد بيل، ومسؤولون مدنيون في وزارة الدفاع، وأعضاء في الكونغرس من الحزبين الجمهوري والديمقراطي، الذين يسعون إلى تفكيك العراق إلى كيانات ثلاثة: الكيان الشيعي في الجنوب، والكيان السني في الوسط وبغداد، والكيان الكردي في الشمال[1].

تدخلات إيران في لبنان:

استبشر كثير من العرب والمسلمين بإزالة شاه إيران شرطي الخليج، ولكن خاب ظنهم بسياسة تصدير الثورة، فقد حاولت إيران تطويع حركة أمل الشيعية لمقاصدها، ولم تفعل شيئًا لإنقاذ موسى الصدر رئيس الحركة، الذى جاء من إيران، جاء في عام ١٩٥٩م، وكان له أقارب في لبنان، حيث حل نفوذه في مدينة صور، واتفق مع الشيخ حسين فضل الله عام ١٩٧٨م على إنشاء جمعية المبرة الخيرية، ثم تعاونا في إنشاء المجلس الشيعي الأعلى سنة ١٩٦٩م، كما أنشأ سنة ١٩٧٤م حركة المحرومين، وطالب بإصلاح النظام اللبناني، وفى سنة ١٩٧٥م تكون من حركة المحرومين جناح عسكري، عرف بحركة أمل للمقاومة، اختلفت إيران مع حركة أمل في علاقتها مع الفلسطينيين، ولذا فقد فكرت في إنشاء حزب الله اللبناني سنة ١٩٨٣م، بإرسالها الرجال من الحرس الثوري، لتدريب عناصر من الحزب لمجابهة إسرائيل، بعد أن اجتاحت إسرائيل مرتين: مرة سنة

(١) الغنجة هاشم داود، المصدر السابق، ص١٧٠.

١٩٧٨م، والأخرى عام١٩٨٢م[١]، ثم تأسست قناة المنار الفضائية بجهود سوريا ولبنانية، وبتمويل من إيران، وتحت ستار مقاومة إسرائيل نجحت في تقوية حزب الله وشيعة لبنان عمومًا، وتحويلهم إلى قوة مسلحة استخدمتها إيران لمصالحها في لبنان وسوريا والعراق.

وبعد الحرب اللبنانية تم في اتفاق الطائف نزع سلاح جميع الميليشيات اللبنانية، ما عدا حزب الله على اعتبار أنه ليس مليشيًّا، وإنما هو مقاومة مشروعة ضد إسرائيل، وبموافقة من أمريكا دخلت سوريا إلى لبنان، فأطبق الطرفان سوريا وحزب الله اللبناني على السياسة اللبنانية، كل ذلك بمباركة من إيران وأمريكا، وبعد التضحيات التي قدمتها الجبهة الشعبية للقيادة العامة في جنوب لبنان ضد إسرائيل.

قامت إسرائيل بالانسحاب المفاجئ للجميع من جنوب لبنان، وملأ حزب الله هذا الفراغ مدعيًا انتصاره على إسرائيل، وفي سنة ٢٠٠٥م أرغمت أمريكا سوريا بسحب قواتها من لبنان، ولكنها لم تسحب سلاح حزب الله، فاستمر يناوش إسرائيل على الحدود، مطالبًا بمزارع شبعا، ولكن في سنة ٢٠٠٦م قامت إسرائيل برد موجع ضد الحزب، وضد لبنان عمومًا، استمر قصفها حوالي شهر، وبموافقة من أمريكا.

وقد قام شيعة حركة أمل بمحاصرة وقتال الفلسطينيين في لبنان ثلاث سنوات، وقد رفضت إيران وكذلك حزب الله التدخل لفك الحصار عنهم، بعد تعرضهم لمجزرة صبرا وشاتيلا، حيث قاموا بتسهيل دخول الإسرائيليين إلى هذه المخيمات الفلسطينية، وعمل المقتلة المشهورة، التي سهل لها أيضًا بعض المسيحيين من مجموعة إيلي حبيقة، فكيف يتحد بعض الشيعة وبعض المسيحيين

(١) إلهه روستامى- يوفى: تأثير إيران ونفوذها في المنطقة، ترجمة: د. فاطمة نصر، ص١٤٣ وما بعدها، إيران، ٢٠١٠م.

ويهود إسرائيل ويتمالؤون على قتل الفلسطينيين العزل في مخيماتهم، وقد أيد حزب الله اللبناني احتلال أمريكا للعراق، وأرسل رجاله لتدريب المليشيات العراقية الشيعية، لمقاومة السنة ومساعدة الأهداف الإيرانية في العراق، ولا يخفي حزب الله ولاءه لإيران، فهو يرى أنها المرجع الديني له، والممول المالي إضافة إلى التأييد والمساندة بين الطرفين، حتى أصبح هذا الحزب أقوى من الدولة يتميز عنها بعلمه وبمؤسساته المخابراتية والدعائية، ويرفع صور المراجع الإيرانية في جميع مؤسساته، ويقر باتباع الولي الفقيه. ثم تدخل حزب الله في حرب سوريا، لمساعدة بشار الأسد ضد الثوار السوريين، كما أرسل أيضًا رجاله إلى العراق، لمساعدة المليشيات الشيعية العراقية ضد السنة، مما دفع كثيرًا من شيعة لبنان خاصة الاعتراض على حزب الله، ومفارقته وانشقاقه عن العرب، من أمثال الشيخ علي الأمين وغيره، حيث لن تدوم له القوى الإيرانية[1].

تدخلات إيران في السعودية:

تعد إيران والسعودية من أهم الدول المطلة على الخليج العربي، وذلك بسبب كونهما منتجتين للنفط، وكونهما يشكوان معًا من تدخلات الدول الخارجية، وأطماعها، فلكل منهما مصلحة في إبعاد التدخل الخارجي. غير أن الدولتين تتقاطعان في سياستهما المتعلقة بتطبيق الإسلام، فالسعودية من جهة ترى أنها وريثة المفهوم الإسلامي النبوي، كما طبقه صحابة رسول الله ﷺ، وكما جاء في القرآن والسنة.

في حين ترى إيران أن من أهدافها التوسع، وتصدير الثورة بغزو فكري مستند على نشر التشيع الإثنا عشري في نفسٍ قومي لاسترجاع الإمبراطورية الفارسية القديمة، مستغلةً المذهب الشيعي والأقليات الشيعية داخل السعودية في

(١) د. عبدالله محمد الغريب: وجاء دور المجوس، ص٤٠٩، ط٥، ١٩٨٧م.

كل من الأحساء والقطيف والعوامية والمدينة المنورة (النخاولة)، ولذلك أثارت المشكلات والشغب في موسم الحج، مما تسبب في قتل وتزاحم لا مبرر له، سوى أن إيران تطالب برفع شعاراتها المذهبية في أثناء تأدية الحجاج المناسك المقدسة، وذلك مما أدى إلى قتل ٤٠٠ حاج في موسم ١٩٨٧م، مما دفع السعودية إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران في عام ١٩٨٨م، وبعد حرب الخليج الثانية ووفاة الخميني ومجيئ حكومة إصلاحية في إيران، حدث تقارب بين الطرفين، وخاصة إبعاد نقاط الاصطدام السياسي بينهما (تصدير الثورة)، وتوج ذلك التفاهم بعقد الاتفاقية الأمنية بينهما سنة ٢٠٠١م، وعلى الرغم من حدوث انفجار في الخبر، اتُّهم فيه شيعة السعودية، إلا أن السعودية لم تصعد هذا الحادث، واستقبلت رفسنجاني بكثير من الود والاحترام، وعلى الرغم من أنه صلى الجمعة في الحرم المكي، وسمع مهاجمة الإمام الشيخ الحديثي للشيعة، مما دفعه إلى عدم الصلاة وراء الإمام معتذرًا. وقد قامت المملكة بعزل إمام الحرم، ترضيةً للتيار الإيراني الإصلاحي، الذي كان مهادنًا في سياسته في ذاك الوقت.

وأصبح الطرفان أمام السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط خاصة: إما أن يقتربان أكثر، وإما أن يفترقان، بسبب تدخل العوامل الخارجية، التي كانت أمريكا تحدثها في المنطقة، خاصة غزوها للعراق. فقد وجدت إيران الفرصة مواتية لإسقاط نظام صدام حسين، والانتقام مما أحدثه العراق في حرب الثمان سنوات، فقامت إيران بتسهيل ضرب أمريكا لطالبان في أفغانستان، وتشجيعها الشيعة الأفغان المحاذين لحدودها مع أفغانستان الحرب ضد طالبان، فقد كان الهذارة من شيعة أفغانستان يساعدون الاحتلال الأمريكي لأفغانستان ومقاتلة طالبان.

ويبدو أن إيران كانت مرحبةً بإسقاط صدام حسين، فقد قام المرجع الديني في النجف السيستاني، وهو من أصل فارسي بإصدار فتوى، يطلب من الشيعة عدم مقاتلة الأمريكان المحتلين، وقد فاخر بعض الساسة الإيرانيين بما

قامت به إيران، من تسهيلات في كل من أفغانستان والعراق. ورافق الاحتلال الأمريكي للعراق غزوًا إيرانيًّا، دخلت مجموعات من الميليشيات الشيعية المرتبطة بالحرس الثوري وبفيلق القدس، كما فصلنا ذلك في تدخل إيران في العراق. واتضح فيما بعد: أن النفوذ الإيراني في العراق والشام يهدد السعودية وأمنها، فقد ظهرت بوادر من قيام إيران بتدريس وتدريب بعض شيعة السعودية وإمدادهم بالسلاح، ولا يستبعد أيضًا أن إيران قامت بتحريك خلايا القاعدة التي عبرت من أفغانستان إلى إيران، وكذلك خروج بعض رجال القاعدة من سجون العراق، وتشجيعهم على القيام بأعمال تخريبية في السعودية[1]. فقد كشف عادل اللباد قبل ثلاثين سنة، وهو من شباب شيعة العوامية: أنه نتيجة كثرة سماعه في الحسينيات من تحريض على الدولة والشيعة معًا، فقد قرر يومها هو وصاحب له توزيع منشورات تحريضية في العوامية ضد الدولة، ثم محاولته السفر إلى إيران بجواز مزور عن طريق سوريا، ولكن قبض عليه في الحدود، ثم حاول مرةً أخرى السفر عن طريق الكويت أيضًا بجواز مزور، فنجح وسافر إلى دمشق، ومنها إلى طهران، يريد طلب العلم والدراسة في قم، ولكنهم قالوا له: يجب إعدادكم كطلائع للثورة البحرينية، ووصف مراحل التدريب الشاق إلى أن انتهى بالتدريب على السلاح والمتفجرات، مع جملة من شباب السعودية والبحرين، وبعد هذه المرحلة ألحق بالدراسة في قم، تحت المرجع الديني الشيخ هادي المدرسي، وقد وصف كيف أن الإيرانيين يكرهون العرب حتى من الشيعة العرب، وعند مجيئ رفسنجاني قال: أخذنا إلى الهند، وأسكنا في عمارة، بدأت تنقطع عنا المعونات شيئًا فشيئًا، مما اضطرنا إلى طلب المال من أهلنا، الذين كنا نلتقي بهم في دمشق، وقد تبين فيما بعد أنها كانت صفقة سياسية، كان من بينها العفو عن الشيعة، وتزويدهم بجوازات سفر، ورجوعهم إلى السعودية، فرجع

(١) محمد عبدالحليم أبوجاد: ردع إيران، ص١٥٣ وما بعدها، الدوحة للنشر والتوزيع، والأجواد للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

هو وحسن الصفار فيما يبدو، وآخرون منهم: توفيق السيف، وجعفر الشايب، وصادق الجبران، وعيسى المزيل. ورفض حمزة الحسن ومجموعته الرجوع، وهذا اعتراف صريح نشر في كتاب عادل اللباد، يوضح تفاصيل تدخل إيران الصريح في السعودية[١]، ومثل ذلك ما حدث في مناسبات عدة في موسم الحج، حيث تستغل جموع الحجيج للشحن الطائفي والسياسي، الذي قد يصل إلى عمل تفجيرات، كما نشرت ذلك الصحف السعودية. كما ذكر كنيث ار.تيمرمان في كتابه: (العد العكسي للأزمة المواجهة النووية المقبلة مع إيران): إن قضية أبراج الخبر التي قامت وزارة العدل بفتحها في حزيران ٢٠٠١م تؤكد بوضوح تورط حرس الثورة ووزارة الأمن والمخابرات الإيرانية في التخطيط للهجوم، الذى أوقع ١٩ قتيلًا في الظهران بالمملكة العربية السعودية في يونيو ١٩٩٦م، وتمويله، كما أورد الكاتب نفسه وثيقة اتهام حكم صادر من محكمة الولايات المتحدة الفيديرالية محكمة شرقي فيرجينيا قسم إليكساندرا بالتآمر ضد قتل مواطنين أمريكيين، ومنذ الثمانينيات حتى صدور هذا الاتهام أن حزب الله هي التسمية التي يتم إطلاقها على عدد من المنظمات المتعلقة بالإرهاب والنشطة في المملكة العربية السعودية ولبنان والكويت والبحرين، ولقد قامت إيران بدعم هذه المنظمات والتأثير عليها وتحريضها بمهاجمة مواطنين أمريكيين وممتلكات تابعة لأمريكا، وبما أن حزب الله السعودي منظمة خارجة عن القانون، فقد تلقت عناصره تدريبًا بشكل مكثف في لبنان وسوريا وإيران، وكان أحمد المغسل الذي يلقب بأبي عمران يرأس الجناح العسكري لهذا الحزب[٢]. ومن المفارقات العجيبة أن الغرب لم يصف تدخلات إيران السالفة الذكر، وما تقوم به أجهزتها الخفية بالإرهاب، ولم تتهمها به، ولن تسعى إلى تجفيف منابعها المالية، ولا

(١) د. عبدالله محمد الغريب: وجاء دور المجوس، ص٢٩٧، ط٥، ١٩٨٧م.

(٢) كينيث آر.تيمرمان: العد العكسي للأزمة المواجهة النووية المقبلة مع إيران، ص٤٠٦، دار العلم للملايين، لبنان، ٢٠٠٦م.

دوافعها الفكرية، المنبعثة أصلًا من الشحن الطائفي من قبل المتطرفين الشيعة، والمستغلين من قبل حكومة إيران، بل أكثر من ذلك، يبدو أن الغرب قد وجد في التطرف الشيعي واندفاعه الطائفي وسيلة رخيصة للمجابهة، ولتحقيق أهدافه في مواجهة أهل السنة عمومًا، وتشجيعه نشر التشيع والمساعدة على ذلك في عموم بلاد أهل السنة، فمن مطالب الغرب وأمريكا إعطاء الحرية للشيعة، لنشر مذهبهم وبناء الحسينيات، وإشاعة التصادم الطائفي بين الفريقين، هو الهدف الغربي المطلوب، ونتساءل عن مستقبل العلاقات الإيرانية السعودية، المحكومة اليوم بالعناصر التي سبق أن ذكرنا تطوراتها بين الطرفين، والمتعلقة خاصة باحتلال العراق، وتدخل إيران وروسيا في الحرب ضد الشعب السوري، وتدخل حزب الله اللبناني، والأوضاع القائمة في حرب اليمن، وتصدير إيران السلاح للحوثيين، وجميع ما بحثناه من عناصر التباعد والالتقاء، المتعلقة بموسم الحج، وسياسة البلدين في إنتاج النفط، كل هذه العناصر دفعت الكاتب إحسان محمد هادي في كتابه (العلاقات الإيرانية السعودية) إلى استشراف خمسة سيناريوهات من المحتمل حصول أحدها في المستقبل، وهي:

- **أولًا: السيناريو الأول:** الذي ينص على تغير هيكل السلطة مع وجود عناصر نظام حزب البعث في الساحة السورية، وإجراء انتخابات شفافة يكون حزب البعث مشاركًا فيها، مما يسمح لأنصار هذا الحزب اختيار ممثليهم في السلطة، الذين هم بالأساس موجودون فيها، بذلك يتم اختيار ممثلي الشعب بالانتخابات من دون إبعاد واجتثاث لأي حزب أو مكون طائفي أو اثني، بذلك يحصل تقارب بين مكونات الشعب، ونبذ العنف، والاتجاه نحو التوحد، إلا أنه بعد تطور الأحداث واستمرارها في سوريا، يبقى هذا السيناريو من غير الممكن أو أبعد الاحتمالات.

- **ثانيًا: السيناريو الثاني:** هو حل نظام الأسد كاملًا، وإبداله بنظام جديد عن طريق الانتخابات، كما حصل في تونس ومصر، فإذا لم يسلم الرئيس

السلطة إلى نائبه أو وزير الدفاع، كما حصل في مصر، فإنه قد يحتمل حدوث الفوضى الشاملة في البلاد، وانهيار مؤسسات الدولة، بما فيها القوات المسلحة، التي انحازت لصالح نظام الأسد، ولا تجد الحكومة المرتقبة فرصة لإصلاح الحال، وتصعب مهمتها في السيطرة، ومن المحتمل قيام نظام إسلامي متطرف، يحل محل النظام الحالي، فهو احتمال وارد وخطر قائم، واحتمال أن تستيقظ الطائفية، لتكون هي المدخل للانشقاقات في المجتمع السوري، وتكون الانقسامات الطائفية كبيرة بين السنة والطائفة العلوية، ومن المحتمل انزلاق سوريا في حرب أهلية، تؤدي إلى تدمير الإمكانيات والطاقات المادية والعسكرية لسوريا، ويكون بذلك أوصد الباب أمام إيران وحلفائها الآخرين في الجوار السوري من حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي، وتكون قد خسرت قوة المقاومة حليفها الإستراتيجي سوريا، كما من المتوقع أن تكون سوريا قاعدة للتنظيمات المتطرفة الإرهابية. إن احتمال وصول الإسلاميين إلى السلطة بأغلبية تمكنهم من قيادة الدولة، كما حدث في تونس ومصر يمكن أن يلعبوا دورًا رئيسًا بعد استقرار الأوضاع في إدارة البلاد، وإيجاد سياسة خارجية جديدة لسوريا، عن طريق بناء علاقات مع الدول الكبرى، وتأكيد التزامهم باتفاقيات السلام الموقعة، مع الكيان الإسرائيلي بالإشارة إلى كامب ديفيد بهذا الإعلان، سوف يوثقون علاقاتهم مع الغرب، والدول التي تدور في الفلك الغربي.

- **ثالثًا: السيناريو الثالث:** هو السيناريو اليمني، الذى وضعت بصمتها فيه المبادرة الخليجية بزعامة المملكة العربية السعودية المدعومة دوليًّا، وهي الآلية التي أثبتت نجاحها باقتدار في إيجاد تسوية دبلوماسية هادئة للأزمة اليمنية، التي من بين قراراتها تنازل رئيس الجمهورية علي عبدالله صالح مع بقاء النظام، وتقديم ضمانات للرئيس بعدم ملاحقاته القانونية والسياسية، ويتولى

نائبه السلطة لمرحلة انتقالية زمنية، مدتها عامان، حتى إجراء انتخابات ودستور جديد للبلاد، وبذلك تكون انتهت الأزمة في اليمن، وتوقفت المظاهرات الاحتجاجية، ولعبت المملكة العربية السعودية دورًا إيجابيًّا وفعالًا لحل الأزمة في اليمن، وحد صفوف المعارضة اليمنية، وهي المعارضة العسكرية، متمثلة في قوات اللواء علي محسن والمعارضة القبلية، متمثلة بقبائل حاشد وبكيل، وعلى رأسها الشيخ صادق الأحمر، والجماعات الإسلامية عنهم الشيخ عبدالمجيد الزنداني، ولكن جاء الحل على حساب الثورة وشبابها الطامح إلى التغير الحقيقي، وإقامة الديمقراطية التي تخشاها الجارة الكبرى لليمن السعودية، وأعلن الرئيس الأمريكي أوباما تأييده، لا اعتماد الحل اليمني في سوريا، فكان هذا التصريح خلال قمة مجموعة الثمانية في كامب ديفيد، وأكد على ضرورة رحيل الأسد عن السلطة سلميًّا والشروع في العملية الديمقراطية.

- **رابعًا: السيناريو الرابع:** وهو التدخل العسكري الخارجي، كما حدث في ليبيا لصالح الثوار ضد النظام، بحجة إقامة منطقة آمنة عازلة، وهو ما أيدته بعض الدول تأييدًا غير مباشر، وهو ما ترفضه إيران بشدة، إن إبعاد الأسد عن السلطة بمثابة هدف إستراتيجي للمملكة العربية السعودية، ويظهر هذا الهدف بطريقة غير مباشرة للرؤية التي يطرحها الإعلام السعودي، وأن غياب وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل عن الاجتماع، الذي عقدته الدول الأربع: مصر وتركيا وإيران والسعودية، على مستوى الوزراء الخارجية من أجل إيجاد حل للأزمة السورية، ونلاحظ ذلك من تصريح داؤود أوغلو في الاجتماع الذي عقد في مصر مع نظيره المصري والإيراني لإيجاد صيغة حل للأزمة السورية، حيث أكد زيادة التشاور مع السعودية، لأنها لاعب مهم في المنطقة، ويجب تدخلها من أجل حل مستقبل للأزمة السورية.

- **خامسًا: السيناريو الخامس:** وهو سيناريو تقسيم المنطقة إلى دويلات صغيرة، عرقية واثنية وطائفية، متناحرة فيما بينها، حتى يسهل تفكيك

الدول التي لها وزن إقليمي في المنطقة، وشل قدراتها الاقتصادية والبشرية، وتشتيت وحدتها، واعتمادها على الدول الغربية في احتياجاتها، وهذه العملية غير مستثنى منها أحد، والهدف واضح ولا يخفى على أحد، وهو مشروع الشرق الأوسط الكبير، وسيادة ثقافة الاستهلاك، وتسيد دولة الكيان الصهيوني، وتصبح ضمن القوى الإقليمية بل الأولى.

وإن هذا المخطط يتم تنفيذه في سوريا الآن بزرع الفتنة الطائفية بين العلويين والأغلبية السنية في سوريا، ولا يظهر في الأفق القريب أي بوادر حل للأزمة في سوريا إلا التقسيم، ولذلك يتوقع أن تنقسم سوريا إلى مناطق طائفية، وهي علوية في منطقة الساحل، وكردية في الشمال، وسنية ودرزية في الوسط، وهو المخطط نفسه الذي حصل في العراق، وبعد عام ٢٠٠٣م واحتلال العراق من قبل أمريكا بدأت أمريكا ومن ورائها الصهيونية العالمية في تقسيم الوطن العربي، وبدأ هو الآخر يستجيب وبسرعة، وظهرت دويلات متمايزة عرقيًّا وطائفيًّا ودينيًّا، لأن اتفاقية سايكس - بيكو عام ١٩١٦م التي رسمت خريطة العالم العربي، لم تكتفِ، ولهذا أرادت تقسيم الدول العربية على هذا الأساس، لأنها لم تجد أي ممانعة، بل وجدت سهولة في تنفيذ ما خططت له، وأصبحت الآن طامعة أكثر من ذي قبل. وتعد التحصينات الأخيرة في سوريا حول جبال العلويين الشرقية والسهول الممتدة حولها في حمص وحماة جنوبًا إلى إدلب شمالًا، لتشكيل حدود الدولة العلوية المرتقبة، وتكريسًا للتقسيم الطائفي والعرقي. يدور في الآونة الأخيرة الحديث عن طريق جديدة للضغط على إلزام النظام الحاكم في سوريا، بعد فشل مجلس الأمن من إصدار قرار أممي، حيث اصطدم مشروع القرار بالفيتو الروسي والصيني، من هنا جاء الحديث عن طريق فكرة مشروع استخدام التدخل الإنساني في إيجاد ملاذ (منطقة عازلة) بإنشاء منطقة للحظر الجوي الجزئي، مدعومة من التحالف العسكري، كما حدث في العراق في

شماله وجنوبه عام ١٩٩١م، من دون صدور قرار من مجلس الأمن يشرع ذلك، ومن أجل توفير الأمان للاجئين المحتملين، جراء الهجوم عليهم من قبل قوات النظام، وأن فرض منطقة آمنة داخل سوريا سيشكل ذلك ضربة نفسية كبيرة للنظام ومؤيديه، وسيحصل المتمردون على دعم خارجي كبير من جهة أخرى[١].

عوامل الالتقاء والافتراق بين السعودية وإيران:

تظل المملكة العربية السعودية وإيران على الرغم مما يعتريهم من عقبات ومشكلات هم المركز الإسلامي والديني لكل المسلمين في العالم، تمثل السعودية والكعبة الشريفة القبلة الأولى المسلمين عمومًا والسنة خصوصًا، كما تمثل إيران مركزًا دينيًّا مهمًّا بالنسبة للشيعة عمومًا، بالإضافة إلى الموقع الجغرافي بالنسبة للبلدين، وما يمثله من أهمية كبيرة للمصالح العالمية، ولهذا كان البحث في عوامل الالتقاء وتقويتها لدعم أواصر التعاون بين البلدين، وعناصر الافتراق حتى نضعفها من أجل التقارب لمصلحة الأمة الإسلامية، التي عانت بسبب هذه الفرقة المفروضة عليها، ومن هذه العوامل ما يلي:

١- موسم الحج:

منذ سنة ١٩٢١م كان الحجاج الإيرانيون يمارسون حجهم عمومًا كبقية المسلمين، ما عدا بعض المخالفات التي تصدر من بعض أفرادهم المتعصبين للمذهب، وكان أهل مكة يرحبون بهم لكونهم مصدر رزق، وفي سنة ١٩٢٦م هاجمت قوات الإخوان في مكة الشيعة في أثناء احتفالهم بذكرى عاشوراء، وهو ما جعل إيران تصدر إدانة شديدة اللهجة لذلك في ذلك الوقت، وفي سنة ١٩٤٩م أصدر الرئيس الديني لبعثة الحج الإيرانية (آية الله كاشاني) فتوى دينية

(١) حسان محمد هادي: (العلاقات الإيرانية - السعودية بعد عام ٢٠٠٣م) ص١٢٧ وما بعدها، مكتبة البصائر، لبنان، ٢٠١٣م.

مفادها: أن السلطات السعودية قد حددت بشكل خاطئ موعد وقوف الحجيج بعرفات، وأشار إلى أن الحجاج الإيرانيين لن يبرحوا عرفات بعد انتهاء ذلك اليوم، حسب متقضى التعاليم المذهبية، وعندما علم الملك عبدالعزيز بهذا الأمر أرسل ثلاثة من أقرب معاونيه لمناقشة رئيس البعثة الإيرانية في فتواه، وإقناعه بمغادرة صعيد عرفات مع جموع الحجاج المسلمين هو وأتباعه في الوقت المحدد، وكانت رسالة الملك تحمل في طياتها تهديدًا مبطنًا في حالة عدم الاستجابة لرغبة الملك في المغادرة في هدوء، وانتهت الأزمة بإقناع رئيس بعثة الحج الإيرانية من قبل المبعوثين من الملك دون إثارة شغب أو ضوضاء، وغادر الإيرانيون عرفات مع مجموع الحجاج، وأيضًا في عام ١٩٦٢م حاول الحجاج الإيرانيون في زيارة المدينة المنورة لقبر الرسول ﷺ رمي القاذورات على قبره ﷺ، ولكن اتضح أن المقصود هو قبر أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ونتج عن هذا الحادث وقوع مشاجرة بين هؤلاء الإيرانيين وعدد من أهالي المدينة المنورة والمسلمين الآخرين، ولم يقع ضحايا في هذا الحادث، غير أن عددًا من الحجاج الإيرانيين وأهالي المدينة المنورة أصيبوا بجروح، ونقلوا إلى المستشفى حيث كانت جروح بعضهم خطيرة، ولكن على الرغم من تلك الأحداث وتأثيراتها تشير إلى رغبة الحجاج الإيرانيين في إثارة الفتنة الطائفية، لكنها كانت ذات سمة طبيعية بين السعودية وإيران في فترة ما بعد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، بل وكانت الأزمات اللاحقة للتاريخ السابق أكثر خطورة من سابقتها، كونها لا تأتي من حافز طائفي فحسب، وإنما من تحريض القيادة الإيرانية لأغراض سياسية تهدف إلى تقويض سلطة وسيادة السعودية على الأماكن المقدسة، وتشكيل عوامل ضغط سياسية على القيادة السعودية، لإرغامها على اتباع سياسات إقليمية ودولية، تصب في مصلحة النظام الإيراني، ومن الملاحظ أن أعداد الحجاج الإيرانيين إلى مكة قبل الثورة وبعدها هو الازدياد المتضاعف، وتزداد بنسب تصاعدية مع إشعال فتيل الخطاب الإسلامي الثوري والشغب ضد السعودية والعراق، لا سيما في

أثناء مدة الحرب العراقية الإيرانية في منتصف السبعينيات، كان عدد الحجاج لا يتجاوز ٥٨ ألف حاج، بينما كان عدد الحجاج في عام ١٩٨٤م يتجاوز ١٥٥ ألف حاج في إشارة واضحة إلى تأثير الثورة الإيرانية في فكر وسلوك الشعب الإيراني، ولم يكن الدافع الإيماني هو وراء تلك الزيادة، بل إنما يرجع ذلك لرغبة الحكومة الإيرانية لإرسال أكبر عدد من الحجاج إلى الأماكن المقدسة في كل عام لإثارة الشغب، وتشكيل ضغوط على المملكة العربية السعودية في ذلك، ومنذ عام ١٩٨٨م كانت قضية الحج من أهم العقبات التي أدت إلى تأخر العلاقات بين إيران والمملكة العربية السعودية، إذ تعددت المحاولات الإيرانية لاستغلال موسم الحج لنشر الأفكار الثورية والتعبير عنها، وذلك بغرض إحراج السعودية بإحداث الاضطرابات في الحج، مما يؤثر إعلاميًّا في قدر المملكة على إدارة الحج، وحماية بيت الله الحرام فقد دعا آية الله الخميني إلى وضع المدينتين الإسلاميتين مكة المكرمة والمدينة المنورة تحت سيادة إسلامية مشتركة. كما طالب رئيس وزرائه عام ١٩٨٤م بإرسال قوات من كافة الدول الإسلامية إلى مكة والمدينة، ولكن هاشمي رفسنجاني رئيس مجلس الشورى آنذاك سخف هذا التصريح، وفي هذا الصدد نظمت الحكومة الإيرانية في يناير ١٩٨٨م مؤتمرًا عقد في لندن، للدعوة لنزع السيادة السعودية عن المدينتين المقدستين، ونظرًا للاحتجاج على التدخل في الشؤون الداخلية للمملكة العربية السعودية عدل الناطقون الرسميون الإيرانيون من أسلوبهم، فأصدر حجة الإسلام حسن روحاني نائب رئيس مجلس الشورى تصريحًا في ٣١ مايو ١٩٩٤ بعد موسم الحج دعا فيه الدول الإسلامية بإدارة موسم الحج، وأضاف أن إيران مستعدة لإرسال متطوعين إلى مكة المكرمة لإدارة موسم الحج، وجدت الحكومة السعودية في تصريحات القادة الإيرانيين تهديدًا لسيادتها ووحدتها، وتهدف إلى زعزعة الصورة الإيمانية للمملكة السعودية التي اكتسبتها في العالم الإسلامي، ولكن نقول لهم: «هيهات، إن للبيت ربًّا يحميه».

وأمرت إيران حجاجها في مرات عديدة بالقيام بمظاهرات، ورفع الشعارات المؤيدة للثورة، وإعلان البراءة والسقوط لأمريكا والصهيونية والأنظمة العربية. تكررت تظاهرات الحجاج الإيرانيين في مكة منذ الثمانينيات، وكانت الأولى في عام ١٩٨١م، وازدادت حدة التظاهرات تنظيمًا وعنفًا في السنوات التالية، وكانت هتافاتها ضد السعودية، التي تحاشت الصدام معها، وتجنبت استفزازها، قامت السلطات الأمنية في السعودية بحد لذلك، بعث الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله برقية إلى الخميني بتاريخ ١٠/١٠/١٩٨١م، يقول فيها: إن هذه التظاهرات السياسية تتنافى مع مكانة الشعب الإيراني، وطلب منه أن يقتصر نشاط الحجاج على أداء مناسكهم فقط، وناشد القائمين عليها مراعاة ظروف موسم الحج، والابتعاد بالشعارات الدينية عن الصراعات السياسية، وكان رد الخميني على برقية العاهل السعودي: حضرة الملك خالد بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية، لقد تلقينا رسالتكم: «.... إن ما ذكرته سفارة الجمهورية الإسلامية هو الصحيح، فأنا أرى أن جميع مشكلات ومصائب المسلمين وحكومات الأقطار الإسلامية هي اختلافهم، والنفاق الموجود بينهم، وأن الأقطار الإسلامية بسكانها الذين يبلغون المليار نسمة، هي تملك ثروات كبيرة تحت الأرض، وعلى نحو خاص بحار النفط التي تشكل الشريان الأصلي للقوى العظمى. وقد حباها الله بأحكام القرآن الكريم، والتعليمات العبادية والسياسية للنبي الكريم صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، التي تحث المسلمين على الاعتصام بحبل الله...»، وكان رد إيران دائمًا هو: أن موسم الحج هو موسم سياحي إعلامي، يجب أن يناقش فيه المسلمون أمورهم ومشكلاتهم، وقد حدثت في موسم الحج عام ١٩٨٧م تظاهرات بعد نداء قام به آية الله الخميني للحجاج الإيرانيين، بتنظيم مظاهرة ضد الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة، وكان تفسيره لذلك عزم إيران لتوسيع مواجهتها مع العراق، لتشمل منطقة الخليج كلها، وأسفرت تلك المظاهرات عن مصرع ٤٠٢ شخص، حسب ما ذكرت مصادر سعودية، وكذلك

أدى ذلك الحدث إلى قيام مظاهرات في إيران أدت إلى اقتحام السفارة السعودية في طهران، والتعدي على مسؤوليها، وكذلك رد الشارع السعودي بمظاهرة، لكن السلطات السعودية حالت دون وصول المتظاهرين إلى السفارة الإيرانية أو الاعتداء عليها، وفي العام نفسه عقد الأمير نايف رحمة الله عليه وزير الداخلية وقتها، مؤتمرًا صحفيًّا عالميًّا في جدة، أعلن فيه رفض السعودية لتلك الأحداث، التي تثيرها إيران في موسم الحج، وأكد أن السلطات السعودية سوف تتخذ كل ما في وسعها على الرد على أي اعتداء ما، يخل بأمنها، أو أي تعطيل لموسم الحج. من جهة أخرى أدان مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية، الذي انعقد في العاصمة الأردنية في مارس ١٩٨٨م أعمال التخريب والشغب، التي قام بها الحجاج الإيرانيون في مكة المكرمة، خلال موسم حج ١٩٨٧م، وأكد المؤتمر على حق السعودية في اتخاذ ما تراه مناسبًا من إجراءات، ووافق المؤتمر على أن كل دولة إسلامية ترسل سنويًّا ألف حاج من كل مليون نسمة من سكانها، وأدى هذا القرار إلى خفض عدد الحجاج الإيرانيين من ١٥٠ ألف حاج إلى ٤٥ ألف حاج، لكن رفضت إيران هذا القرار والإصرار على إرسال كامل حصتها السنوية السابقة ورفضت السعودية ذلك، مما أدى إلى قطع العلاقة الدبلوماسية بين البلدين، على إثره قاطعت إيران الحج لمدة ثلاث سنوات، حتى بداية عودة العلاقات في عام ١٩٩٠م[1]، وعلى الرغم من كل هذه التجاوزات العديدة التي كان يقوم بها الحجاج الإيرانيون في موسم الحج، وعدم التزامهم بالقوانين التي تتخذها السلطات في المملكة العربية على موسم الحج، وعلى أرواح الحجاج، فإننا نجد أن المملكة العربية السعودية قد التزمت بسياسة الصبر والنفس الطويل من حكومة إيران بقيادة الخميني، وذلك حرصًا منها على وحدة الصف الإسلامي، ولا يوجد دليل أكثر من تورط إيران في هذه الأحداث، وبالأخص عندما ضبطت

(١) عطاء الله زايد الزايد: (العلاقات السياسية السعودية الإيرانية، وأثرها على الأمن الإقليمي لمنطقة الخليج العربي ١٩٨٠-٢٠٠٣م) ص١٤٠ وما بعدها، الأكاديميون للنشر، عمان، الأردن، ٢٠١٥م.

السلطات كميات من المتفجرات داخل حقائب الحجاج الإيرانيين، كان يمكن أن يتم استخدامها في داخل الحرم، لولا يقظة الجهات الأمنية، وتؤدي إلى ما لا يحمد عقباه لو فجرت هذه في أماكن مزدحمة من المشاعر المقدسة، وقد عرضت حكومة المملكة تفاصيل ضبط هذه المتفجرات في وسائل الإعلام المختلفة، وبلغ وزن هذه المتفجرات خمسين كيلوجرامًا.

بيان وزارة الداخلية عن أحداث الحرم في ٦ من ذي الحجة ١٤٠٧هـ الموافق ١٩٨٧م:

أولًا: قامت تجمعات من الحجاج الإيرانيين بتشكيل مظاهرة احتجاجية، أشاعت الفوضى والاضطراب بين حجاج بيت الله الحرام، وأغلقت كل المنافذ والطرقات، وتسببت في شلل الحركة المرورية، وحالت دون تمكين الحجاج والمواطنين ساعات طويلة من الانطلاق إلى مصالحهم وشؤونهم، كما أفسدت على الطائفين والقائمين عبادتهم في المسجد الحرام.

ثانيًا: عندما فشلت كل المساعي من المواطنين والحجاج الآخرين المحتجزين عن الحركة بسبب المظاهرة الغوغائية في إيجاد حل حاولوا التدخل عن طريق التفاهم السلمي مع مقدمة المظاهرة، وألحوا لهم في إرجائهم بإفساح الطريق أمام النساء والأطفال المحتجزين في سياراتهم، إلا أن الإيرانيين أصروا على مواصلة المظاهرة، ووسط الهتافات توجه المتظاهرون إلى بيت الله الحرام، وأخذوا يدفعون المواطنين بالقوة والعنف إذا حاولوا الحيلولة دون استمرار المظاهرة، وهنا حاول رجال الأمن الذين كانوا يقفون على جوانب طريق المظاهرة منع المواطنين وبقية الحجاج من الاصطدام بالإيرانيين المتظاهرين، حرصًا على سلامتهم، ودرءًا للشرور، وما كان من المتظاهرين إلا أن استخدموا ضد رجال الأمن ما كانوا يحملونه في أيديهم وبين ملابسهم من العصي والحجارة، وعندها صدرت الأوامر لسلطات الأمن المختصة بالتصدي للمظاهرة فورًا وفضها، وإعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي.

ثالثًا: على إثر هذه الأوامر تراجع المتظاهرون في اندفاع فوضوي إلى الخلف، حيث تساقط العشرات من النساء اللاتي كن وسط المظاهرة تحت أقدام المتظاهرين، كما تساقط عشرات الرجال الطاعنين في السن، والذين زج بهم قسرًا في هذه الأعمال الإجرامية، وما هي إلا لحظات حتي اختلط رجال الأمن والمواطنون بالمتظاهرين، الذين أخذوا في حرق السيارات والدراجات وتحطيم عربات رجال الأمن والمواطنين، ومحاولة تحطيم بعض البنايات وإشعال النار فيها، لولا أن حال دون ذلك رجال الدفاع المدني، وتمكنت قوات الأمن من تطويق الحادث وفض المتظاهرين وفتح الطرقات أمام حجاج بيت الله والموطنين.

رابعًا: أثبتت التقارير الأمنية والوثائق المسجلة صورة وصوتًا: أنه لا يوجد أحد من قوات الأمن أو الموطنين يطلق طلقة واحدة على أي حاج إيراني، بل إن الذي ثبت فعلًا هو أن عددًا من رجال الأمن والمواطنين أصيبوا بطعنات في أمعائهم وصدورهم بواسطة سكاكين كان يخبئها الإيرانيون تحت ملابسهم.

خامسًا: بلغ عدد الوفيات نتيجة لهذه الأعمال الإيرانية الإجرامية مع شديد الأسف أربع مئة واثنان شخص على النحو التالي:

- ٨٥ من رجال الأمن والموطنين السعوديين.
- ٤٢ من بقية الحجاج الآخرين الذين تصدوا للمظاهرة من مختلف الجنسيات.
- ٢٧٥من الحجاج الإيرانيين المتظاهرين معظمهم من النساء، كما بلغ مجموع المصابين بإصابات مختلفة طبقًا لإحصائية المستشفيات وبين وزارة الداخلية (٦٤٩) جريحًا، منهم ١٤٥ من السعوديين (رجال أمن ومواطنين)، ومن حجاج بيت الله ٢٠١، ومن الإيرانيين ٣٠٣، أما الخسائر في الآليات، فهي كالتالي:

إحراق ثلاث سيارات وثلاث دراجات، تابعة لقوات الأمن، وتحطيم العشرات من سيارات والمواطنين والحجاج، وعلى الرغم من كل ما حدث خفت حدة التنافس بين الدولتين، نتيجة لاتخاذ السعودية مبادرات بين الحين والآخر، لإثبات حسن النوايا تجاه إيران، وفي ذلك أعرب العاهل السعودي الملك فهد بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أمله مشاركة إيران مشاركة كاملة في أعمال المؤتمر لوزراء أعلام الدول الإسلامية، الذي عقد بجدة من عام ١٩٨٨م وأيضًا كانت المملكة تحاول دائمًا منذ عام ١٩٨٥م جذب طهران لإقامة حوار دبلوماسي على مستوى وزراء الخارجية، قدمت المملكة من أجل تحسن علاقاتها مع إيران، وضبط سياستها الخارجية الرشيدة تجاه تلك الدولة المسماة: إسلامية. من أجل الحفاظ على وحدة الصف الإسلامي، والحفاظ على حسن الجوار، وعدم زعزعة الأمن في الإقليم، هل تستطيع إيران ضبط سياستها تجاه دول الجوار، والكف عن التدخل في شئونهم الداخلية، هذا ما سيجيب عليه التاريخ، وما يثبته الحاضر القريب[1].

٢- تصدير الثورة:

هذا الكلمة منذ بداية الثورة كانت حمالة أوجه، لها حساسية ومصدر إزعاج لكل الدول التي تقع في محيط الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بل تعدتها إلى دول خارج القارة، وتسببت في مشكلات داخلية لكثير من الدول، التي كانت لإيران تعامل معها، أو لها فيها جالية، مما سببت في كثير من الأحيان قطع تلك الدول علاقتها مع إيران، أو تقليص تعاملها في إطار ضيق، حسب ما تقتضي الضرورة القصوى، ومن بين هذه الدول المملكة العربية السعودية، ولها نصيب الأسد في هذا الجانب، ويرجع ذلك إلى وجود عدد كبير من الشيعة في المنطقة

(١) د. عصام السيد عبدالحميد: (العلاقات السعودية الإيرانية ١٩٨٢-١٩٩٧م)، ص٤٢ وما بعدها، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٦م.

الشرقية والمدينة المنورة والقطيف والأحساء، ويقدر عدد الشيعة في المملكة حسب الإحصاءات القديمة المذكورة في الدراسة المقدمة من معهد الدراسات والبحوث العربية بـ ٣٠٠ ألف، ويشكل الشيعة ٣٣٪ من سكان المنطقة الشرقية، ويشكل العاملون منهم في استخراج البترول ٣٥٪ من إجمالي العاملين، حيث تقع حقول البترول ومناطق إنتاجه بالقرب من مناطق سكنهم، وقد اهتمت حكومة المملكة العربية السعودية بالآثار التي تركتها الثورة الإيرانية على الشيعة السعوديين عبر الخليج العربي، وأخذت تتحسب لذلك في جميع الأمور في عام ١٩٧٩-١٩٨٠م، وقد أعلن وزير الداخلية آنذاك أن الولاء يجب أن يكون للوطن لا للطائفة، وقد فند الوزير مزاعم إيران الخاصة بسوء معاملة الشيعة، ويقول الوزير: إن الخدمات المقدمة في المنطقة الشرقية هي نفس الخدمات المقدمة في الرياض العاصمة وبقية أجزاء المملكة، ويقول في ذلك: إن الجميع يلقون الاهتمام من المملكة بغض النظر عن الطائفة، كما يشهد تاريخهم بكثرة الاحتجاجات وانتفاضهم على تدني أوضاعهم الاجتماعية، كما هو الحال في الأعوام ١٩٢٥، ١٩٤٤ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٣م، ويشير ذلك بوضوح تدخل إيران في هذا الشأن، ومقولة الخميني في هذا الصدد حاضرة في الأذهان عندما ناشد الخميني شيعة الخليج داعيًا إياهم للإطاحة بنظمهم بقوله: (يا أبناء علي انهضوا ضد أبناء يزيد)، وتولت إيران تمويل التنظيمات في السعودية، مثل منظمة الثورة الإسلامية- الجزيرة، بل أتاح لبعضها ممارسة نشاطها من داخل إيران، حسب ما جاء في العلاقات العربية الإيرانية المقدمة من معهد البحوث الإسلامية ١٩٩٣م ص ٣٨٥ وما بعدها[١].

٣- النفط:

كانت منظمة أوبك هي المنظومة التي بداخلها تتبلور كل التفاعلات العربية- الإيرانية من خلال النهج الفعلي في أسواق النفط الدولية بين العرب

(١) د. محمد محمد زهرة: (العلاقات العربية الإيرانية)، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، ١٩٩٣م.

وإيران، وقبل انتصار الثورة كان هناك توافق في السياسة النفطية بين إيران ودول الخليج، لكن في الوقت نفسه يوجد خلاف بين إيران، التي كانت من ضمن حمائم الأوبك وبين صقور الأوبك من بلدان الأوبك العربية، وخاصة ليبيا والعراق والجزائر يوجد خلاف في السياسة النفطية، إلى حد ما، ومع انتصار الثورة اختلف موقف إيران من المنظمة، واختلفت سياستها النفطية، وتبدل موقعها، وأصبحت من الصقور المتشددين في سياسة رفع أسعار النفط، حتى لو أدى ذلك إلى تخفيض دول المنظمة إلى حجم إنتاجها، هذا ما أدى إلى تباين في الموقف بينها وبين دول الخليج، على الرغم من توافقها في هذا الرأي مع الدول العربية المتشددة، مثل ليبيا والعراق والجزائر، إلا أن نشوب الحرب العراقية الإيرانية واندفاع الدولتين في تدمير منشآت بعضهم النفطية من حقول ومعامل تكرير، انعكس في تباين في المواقف داخل المنظمة، وكانت هناك قضايا مثار للخلاف بين إيران والدول العربية القادرة على زيادة إنتاجها وحصتها من النفط، وهي بالتحديد المملكة العربية السعودية والإمارات العربية والكويت، وهذا الخلاف مستمر لفترات طويلة، وأصبحت إيران تنافس في هذه القضية، وتزيد من حصتها كلما تمكنت من ذلك، وبعد حرب الخليج في التسعينيات وتوقف صادرات النفط العراقية والكويتية، سنحت الفرصة لكل دول الأوبك من زيادة إنتاجها من أجل تعويض الناشئ من توقف الصادرات العراقية والكويتية، لكن بعد انتهاء الحرب وانخفاض أسعار النفط عالميًّا بدأت دول المنظمة في ضبط إنتاجها، لوقف تدهور الأسعار، وفي تلك الأثناء أكمل الكويت إطفاء حرائق آباره النفطية، بدأ الصراع من جديد بين إيران والدول العربية، حول توزيع الحصص وتخفيضها، لإتاحة الفرصة للحصة الكويتية اتجهت أنظار إيران إلى المملكة العربية السعودية العدو التاريخي، لكي تتحمل النصيب الأكبر على الرغم من أنها أصبحت تمثل ثاني أكبر دولة للنفط مصدرة بعد غياب العراق، وكل ما انخفضت أسعار النفط ترى إيران أن تخفض أوبك من إنتاجها، وهذا كان دائمًا محل خلاف بينها والسعودية،

التي ترى العكس من ذلك، بل يجب أن تزيد أوبك من إنتاجها، ولا تغالي، وذلك بسبب ركوض الاقتصاديات العالمية في غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان التي تم ضربها في تسعينيات القرن المنصرم.

٤- قضايا الجزر الثلاث:

تمثل الجزر الثلاث إحدى العوامل المهمة في تاريخ المنطقة، وينبع هذا الاهتمام من موقعها في قلب الخليج العربي، وقربها من مضيق هرمز، الذى عبره تنقل جميع صادرت المنطقة، أو أغلبها، وظلت إيران تنظر إلى الخليج باعتباره بحيرة إيرانية، لما يشكله من أهمية إستراتيجية بالغة بالنسبة لها، فهو المنفذ الوحيد لها، كما أن سواحله العربية لها أهميتها الاقتصادية، وأيضًا افتقار تلك السواحل إلى القوة العاملة أتاح لإيران شغل هذا الفارق، بتهجير فائض العمالة فضلًا عن إيجاد سوق للبضائع الإيرانية، لكن مع قوة هذه الدوافع التي تحرك السياسة الإيرانية في السيطرة على الخليج، إلا أن المملكة العربية السعودية تصدت لهذه الدوافع، وبرزت في السطح بصفتها مدافعًا عن سواحل الخليج، وهو امتداد لسواحل السعودية والجزر، ولأن ثلاثتهم تمثل نقاطًا لمراقبة سواحل العراق والسعودية وإيران، ومن هنا تنبع الأهمية وأغلب سكان هذه الجزر هم من العرب يشتغلون بالتجارة وصيد الأسماك. وهذه الجزر الثلاث تخضع لحكم عشيرة عربية من القواسم، وذلك بشكل مستمر ومتواتر منذ منتصف القرن الثامن عشر، وحتى عام ١٩٧١م، وعلى الرغم من أن بريطانيا منذ سيطرتها على المنطقة، قد استأثرت بتأمينها، إلا أنها في الوقت ذاته عهدت إليها بتصريف شئونها الداخلية، وكانت إمارة الشارقة لها السيادة على (أبو موسى)، كما كان لرأس الخيمة السيادة على الطنبين الكبرى والصغرى[١].

(١) د. نيفين عبدالمنعم مسعد: (العلاقات العربية الإيرانية)، ص٣٨٨، معهد البحوث والدراسات العربية، المصدر السابق.

وكان الشاه مصممًا بشدة على احتلال الجزر، لدرجة أنه أعلن رسميًّا أن إيران سوف تستخدم كل الوسائل المتاحة، بما في ذلك استخدام القوة من أجل تحقيق ذلك الهدف، وكان الشاه محمد رضا قد صرح لصحيفة الفي جارو الفرنسية: أن هذه الجزر العربية بالأصل إيرانية، وأن القوات البريطانية احتلتها من إيران في فترة ضعفها. أما الآن فإني أمتلك قوة بحرية وجوية ضاربة، تمكنني من احتلال هذه الجزر، متحديًا قوة بريطانيا في المنطقة والسياسة الإيرانية الراهنة تجاه الجزر، لا تختلف عن سياسة الشاه كثيرًا، وما تكرار آية الله خامنئي وهاشمي رفسنجاني وغيرهم من الزعماء أنهم لن يتخلوا عن الجزر أو يقبلوا حلًّا وسطًا بشأنها، وتجدر الإشارة إلى أن معظم الإيرانيين يؤيدون الوضع الراهن في الجزر الثلاث، ولهذا فإن الجمهورية الرسمية والشعبية غير قادرة على التخلي عن الجزر، وتهدف إيران إلى التحكم بأمن الجزر ومياهها الإقليمية، وقد أصدرت في هذا الصدد بيانًا من المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، جاء فيه أن جزيرة (أبو موسى) جزء من مسئولية إيران، كما قامت إيران أخيرًا بتعيين حاكم إداري لجزيرة (أبو موسى)، وذلك كخطوة مقدمة لتثبيت السيادة الإيرانية الكاملة على جزيرة (أبو موسى)، التي جعلتها تتبع إقليم خوزستان، وفرض سياسة الأمر الواقع، ولكن المملكة العربية السعودية بما تمثله من أهمية في الخليج ينبع من كونها من أكبر دول المنطقة، من حيث المساحة الجغرافية، والحدود المشتركة مع معظم البلدان العربية، هذا الوضع تطلب من السعودية وضع الخطوط العريضة لسياستها لتتلاءم مع هذه الظروف، وبما يخدم المنطقة عمومًا، وهذا يحقق لها الدور الإقليمي في المنطقة، ويتضح أن أزمة الجزر الثلاث المتنازع عليها بين إيران ودولة الإمارات العربية المتحدة قد أدت إلى فتور العلاقات السياسية بين إيران والدول العربية، وفي تصريح لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ووزير الدفاع والطيران، والمفتش العام، السابق رحمه الله، قال: نحن

نشارك إيران الرغبة في حسن العلاقات معها، وكما تريد مع دول الخليج، لكننا نرى أن هناك حقوقًا لدول عربية مع إيران، لها بعض المواقع كالإمارات العربية المتحدة، يجب أن تعود هذه الحقوق لدولة الإمارات أو على الأقل تذهب للتحكيم حتى يأخذ كل واحد حقه كاملًا، كما عبر مجلس التعاون الخليجي في اجتماعات المجلس الوزاري في دورته الثانية والستين عن أسفه الشديد لاستمرار الجمهورية الإيرانية في الامتناع عن دولة الإمارات العربية المتحدة وعن المنظمات والهيئات والتجمعات الإقليمية والدولية الأخرى، الداعية إلى حل النزاع حلًّا سلميًّا، كما عبر المجلس عن استنكاره للإجراءات الإيرانية المتتالية في الجزر التابعة لدولة الإمارات العربية، واستمرار قلقه من عواقب إمعان الحكومة الإيرانية في اتباع سياسة فرض الأمر الواقع بالقوة في الجزر، لما يمثل من انتهاك لسيادة دولة الإمارات العربية المتحدة، وتعديًا على حقوقها في الجزر، ويعرض أمن المنطقة واستقرارها للخطر، ويتنافى مع مبادئ وقواعد القانون الدولي، وميثاق الأمم المتحدة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومبادئ حسن الجوار، واحترام سيادة أراضي دول المنطقة، ووحدتها. ومن الوضح أن مشكلة الجزر من أهم وأخطر المشكلات، التي يتعرض لها أمن الخليج في الوقت الراهن، ويتحتم على دول الجوار إيران ودول الخليج حلها عن طريق المفاوضات السلمية، حيث تم في الآونة الأخيرة تشكيل لجنة ثلاثية من المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان ودولة الإمارات العربية، تحت مظلة مجلس التعاون لبحث الخلاف القائم حول الجزر، لكن الذي لا تريده إيران حل الخلاف تحت مظلة مجلس التعاون، وهي ترغب في الحل منفردة مع دولة الإمارات العربية المتحدة.

مستقبل العلاقة بين إيران والسعودية:

تسبب تفكك الاتحاد السوفيتي، ثم بعد ذلك دخول العراق للكويت، وما نتج عنه من آثار والحرب العراقية الإيرانية تسبب كل ذلك في حصول

تقارب بين إيران والمملكة العربية السعودية، خاصة كما ذكرنا في عهد خاتمي وتوقيع الاتفاقية الأمنية بين الطرفين، لكن انتقال السلطة في إيران إلى الجناح المحافظ والمتشدد، وتبني إيران لمشروعها المتعلق بالهلال الشيعي، وهو المشروع الذى اعترف به رئيس جمهورية إيران الأسبق: الحسن بن صدر. في مقابله له مع قناة الجزيرة القطرية في برنامج زيارة خاصة، الذي يقدمه سامي كليب في حلقة بعنوان الثورة الإيرانية وأمريكا والعرب بتاريخ ١٧/١/٢٠٠٠م، كما تحدث بعد ذلك محمد باقر ذو القدر نائب رئيس الحرس الثوري الإيراني عام ٢٠٠٥م عن هلال شيعي أو محمور شيعي يضم كل من طهران وبغداد ودمشق وبيروت. يجري العمل على تقويته، وجعله حزامًا لمواجهة المشروعات الأخرى في المنطقة[١]، وتمددها وتدخلاتها في مواجهة العراق والشام ولبنان واليمن عكر اليوم الأجواء بين الطرفين، وانتهت إلى القطيعة الدبلوماسية على الرغم من أنه من مصلحة الطرفين التفاهم في الحدود التي تؤمن مصالحهما، وتبعد تدخلات الدول الأخرى بينهما، فإذا ما انتهت تدخلات إيران في الدول الأربعة المذكورة، وكفت إيران عن إحداث المشكلات في موسم الحج، أو تشجيعها للأقليات الشيعية في دول الخليج على إثارة الشغب، وتهديد الأمن الداخلي لبلدانها، فإن مستقبل التفاهم والتعاون مع إيران هو ما يجب أن يسود في رأي الحكماء، فما هي آفاق هذا التعاون في المستقبل، وهل حصول ذلك مستحيل، وفى رأينا أن أحداث التوتر جميعها، التي ذكرت في هذا الكتاب يجب أن تكون أعمالًا استثنائية، لها أسبابها الظرفية، ويمكن استعراض مقومات وركائز نجاح العلاقات الودية وبنائها في المستقبل على ما يلى:

---

(١) الغنجة هاشم داود: (العامل المذهبي ودوره في توجيه السياسة الخارجية الإيرانية تجاه العراق ٢٠٠٣-٢٠١٣م)، ص١١٥، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، وسط البلد، مجمع الفحيص التجاري، ٢٠١٧م.

١- إن مجموع الشعب الإيراني محب لسلام، ويملك ميراثًا عميقًا من الحس الإنساني، الذي يدفع إلى الاستقامة والخلق القويم في التعاون مع الآخر، وهذا أمر مشهود لمن تعامل خاصة في التجارة مع الإيرانيين عمومًا.

٢- إن البلدين يتخذان الإسلام دينًا والقرآن الكريم شريعة، وهذا مقدار مهم في أول الطريق، ولكن يعكره إصرار الجناح الديني المغالي في مذهب الشيعة، فإذا ما ضبط سلوك هذا الجناح، فان مستقبل العلاقات سيكون مشرقًا، وفى رأيي أن التشيع في إيران على الرغم من قدمه، فإنه فكر طارئ على الإيرانيين، فقد كان عمومهم وغالبيتهم على مذهب السنة، وكان الشيعة فيهم يمثلون القلة في قم وكاشان ومشهد، هذا من جهة أخرى، فقد استغل بعض الإيرانيين هذا المذهب، لتنفيذ أغراضهم السياسية، فوجدوا بذلك بعض النجاح، وقد حققت أن أصل التشيع هو سياسي، نقله بعض العرب إلى إيران بعد الفتح الإسلامي، ولم يكن منشأ التشيع إيرانيًّا. صحيح أن بعض الإيرانيين قد ألبسوا التشيع عندهم ثوب المجوسية، ونقلوا إليه كثيرًا من الأفكار اليهودية والنصرانية، وبعضا من الفلسفة اليونانية، وقد عالجت هذا الموضوع في كتابي (جذور التشيع)، وفى كتابي (أثر العناصر الأجنبية على بعض الشيعة الإثنا عشرية)، وعندي ليس من المستبعد في المستقبل البعيد تخلي الإيرانيين عن هذا المذهب، أو على الأقل تخليهم عن الأفكار المغالية في المذهب، ويصبح شأنهم شأن الشيعة العرب على الأقل.

٣- أن أسوأ سيناريو معد للشرق الأوسط ما تنبأت به كبيرة المراسلين الصحفيين في البيت الأبيض هيلين توماس، التي عاصرت عهد الرئيس نيكسون وما بعده من رؤساء، حيث نشرت لها بعض الصحف الأمريكية بعد وفاتها ما مفاده: «الدول العربية ستزول بالكامل أو بعضها، وتغيير حدود جغرافية لبعض الدول، وأن وجود الإرهاب صناعة أمريكية وإسرائيلية

وبوادر حرب عالمية ثالثة، وقد أيد بعض هذه التنبؤات مارك جيف المتحدث باسم الحكومة الإسرائيلية، بأن المنطقة على صفيح ساخن، مما دفع المخرج الأمريكي مايكل مور في إعداد فلم تسجيلي مرعب بذلك...»، فلو حصل ذلك، ولن يحصل إن شاء الله، فهل ستكون إيران بمنأى عن مصير العرب؟ أو هل تشارك إيران برمي العرب في هذا الأتون؟ واليوم نشاهد بوادر زحف لأحزاب اليمين المتطرف إلى سدة الحكم في كل من أمريكا والدول الأوروبية، وهذا نذير لبداية تصادم الحضارات ودخول منطقة الشرق الأوسط في معركة استعمار جديد له سمات وأهداف مختلفة.

٤- استخدمت أمريكا تهمة الإرهاب الاسلامي وتوسيعه بشكل مبالغ فيه في العديد من الدول والجماعات، ومنها السعودية وإيران، فكانت الدولتان بعد أحداث ١١ سبتمبر في موضع رفض التهمة عنهما، بل مشاركتهما في الحرب ضد الإرهاب، غير أن احتلال أمريكا للعراق أحدث تغييرًا في مصلحة إيران، وإضعاف الموقف العربي عمومًا، فكانت السعودية تحاول إبعاد النفوذ الإيراني عن كل من العراق وسوريا ولبنان واليمن، وقد بقيت هذه نقطة التوتر بين الطرفين، ولا بد من ذلك من نهاية تتحدد فيها العلاقة بين الطرفين في مستقبل الأيام، فإلى أي مدى تسيطر إيران على مقدرات العراق، وتسكت عنها القوى الفاعلة خاصة الأمريكية، وعلى أي مدى يقبل العراقيون هذا النفوذ الإيراني، ومثل ذلك ما سيؤول إليه الأمر في سوريا، فهل ستكون سوريا موضع قدم لروسيا في المستقبل، وإلى أي حد ستقبل إيران بهذا النفوذ، كما أن إلى أي مدى ستتدخل أمريكا في استغلال الأوضاع والتناقضات السياسية بين كل من تركيا والأكراد وإيران ونظام الأسد القائم اليوم، وما هو مستقبل العرب في علاقتهم بسوريا بعد كل هذا المخاض، الذى شرد أهلها كلاجئين في الجوار للرجوع لأوطانهم. إن الغموض يكتنف التنبؤ

بما ستؤول عليه الحال في المستقبل، وهل ستحرق قدم إيران في العراق وسوريا، أم سيسمح لها بمزيد من التمدد؟ وهل تتمكن إيران من التفاهم مع السعودية في مستقبل هذه المنطقة؟ التي شأنها في الأصل شأنًا عربيًّا.

٥- إن بناء علاقات طبيعية في المستقبل بين الطرفين أمر ممكن إذا ركز على التعايش والتقارب فيما بينهما، لتحقيق مصالحهما التجارية خاصة الآن هي المجال الواسع والقابل للنجاح، والذي يجر معه فيما بعد ما يتعثر من أمور. إن التفاهم بين البلدين في السياسة النفطية من حيث الإنتاج وتحديد الأسعار مجال متاح للتعاون.

٦- يجب على الطرفين محاولة التفاهم وتقريب وجهات النظر، حول الخلافات فيما بينهما، فإيران تتعامل مع دول الخليج منفردة، وترفض التعامل معها بصفتها وحدة سياسية، لتتفاهم معها حول الخلاف في الجزر الثلاث العائدة إلى الإمارات، كما تطالب إيران دول الخليج إبعاد النفوذ الأجنبي، وخاصة تحالفاتها مع أمريكا أو بريطانيا، كما يجب على إيران عدم التفرد في مسلكها في الحج، وان تسلك مسلك بقية المسلمين، لأن هذا مطلب ليس سعوديًّا، انما هو مطلب جميع الدول الإسلامية. والحقيقة أن التواجد الأمريكي في الخليج وجودًا وعدمًا مرهونًا بالنسبة إلى دول الخليج باطمئنانها عليها من قبل إيران، وهو ما تهدد به علانية في الكثير من المناسبات، وقد عرضت دولة الإمارات العربية المتحدة إحالة النزاع حول الجزر الثلاث طرفًا محايدًا، لكن إيران أصرت على الرفض.

٧- إن أمريكا والغرب يخافا من تنامي قوة العرب والإسلام في الشرق الأوسط، ولذا فهما يعملان على إعاقة هذا الهدف أو تفتيته عن طريقين: الأول دعوة محاربة التطرف الإسلامي الذى يتخذ عندهم معاني غير محددة، يسهل توسيع نطاقها على كل خصم من الدول أو الجماعات. والثاني استخدام

إيران، والسماح لها بالتمدد، وتقوم بمواجهة العرب والمسلمين عمومًا، لتتولى هذا الدور في الشرق الأوسط تحقيقًا على إبعاد إيران خاصة عن فكرة التحالف مع السعودية خاصة ودول الخليج والعرب عمومًا، وهذا ما نشاهده اليوم على الخارطة السياسية، فأمريكا والغرب عمومًا يخشون من حصول تحالف إستراتيجي، من شأنه إبعاد النفوذ الأمريكي والغربي عن الخليج والشرق الأوسط، وقد وجدت إيران بقيتها فسارعت إلى إحلال قوتها محل أمريكا في العراق والشام، وهي تحاول سلوك هذا النهج مع الدول العربية عمومًا ودول الخليج العربي خصوصًا لبلوغ هدفها، لذا يجب على السعودية أن تنظر في المستقبل القريب على إقامة تحالف بينها وبين كل من تركيا وباكستان وأفغانستان، حيث إن الدول الثلاث تمثل نقطة توازن وردع في صالح السعودية ضد إيران، وقد حصل ذلك في مناسبات عدة في تاريخ المنطقة.

٨- لقد حلت أمريكا محل النفوذ الغربي في الخليج وفى الشرق الأوسط عمومًا، وسببت سياستها المنحازة إلى إسرائيل والانتكاسات التي حصلت للعرب خاصة في حروبهم مع الإسرائيليين إلى غيظ وكراهية، كان أحد مظاهرها الهجوم على مقتل الجنود الأمريكيين، والهجوم على السفارتين الأمريكيتين في تنزانيا وكينيا ولوكربي والخبر في السعودية وميناء اليمن المدمرة الأمريكية كول، وأحداث ١١ سبتمبر، التي بلورت المبدأ الأمريكي القائل: من ليس معنا فهو ضدنا. فنادت أمريكا بتغير خارطة الشرق الأوسط، ومحاربة الإرهاب، ودفعت بعض الدول والجماعات إلى الاقتتال فيما بينها، ليقوموا بالعمل القذر، لتحقيق أهداف أمريكا اليوم. أمريكا في مفترق الطرق: إما أن تكمل مشروعها في الشرق الأوسط، وإما الدخول في عزلة لتتجنب الآثار المترتبة على أعمالها السالفة، إن مستقبل العلاقات

بين إيران والسعودية بشكل كبير بهذا العامل، الذى لا يزال مسيطرًا على السياسة في الخليج والشرق الأوسط، وتراخيها عن التدخل الروسي في المنطقة لاستخدامه بوصفه عاملًا سلبيًّا في تحقيق الأهداف الأمريكية، وقد خدعت إيران في تحالفها مع الروس في الشام، وسيأتي الوقت الذي تتكشف فيه الحقيقة لافتراق الطرفين في أهدافهما[١].

٩- ومما يقلق الجميع سعي إيران لامتلاك التقنية النووية، فقد أدركت بعد الحرب العراقية أن: السلاح النووي والتهديد به سيكون فعالًا، خاصة أمام حيرة إيران في إيقاف صواريخ إسكود العراقية، وقد نجحت إيران في تخصيب اليورانيوم، وبناء محطة نووية للكهرباء في بوشهر على الخليج العربي. إن إيران تدعي أنها تسعى في تسخير القوة النووية للخدمات المدنية، والحقيقة من الصعوبة في المستقبل أن تبقى إيران واقفة حول هذا الهدف، وأن سعيها سيقربها حتمًا لتصنيع القنبلة النووية، متى شاءت ذلك أو عند الحاجة الماسة إليها. وهذا مما يقلق ليس السعودية فقط، إنما جميع الدول المعنية، وسيدفع ذلك إلى سباق تسلح في المنطقة، لتحقيق قاعدة الردع، ويبدو للمتتبع للأحداث أن إيران ما هي إلا معول هدم في يد الدول الغربية، لتنفيذ سياسة ومشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي رسم بعناية واهتمام للمنطقة، ويتم تطبيقه حسب المعطيات والمتغيرات الإقليمية والدولية.

وقد وجه الكاتب محمد النقيب في كتابه (مشروع الشرق الأوسط الكبير) نقدًا لهذا المشروع الشرق أوسطي الكبير، إذ يقول:

١- إن مشروع الشرق الأوسط الكبير القديم المتجدد، ليس في مفهومه ما هو غائب عنا، بل هو حلقات متتابعة يتم تنفيذها بزمن حسب المعطيات على الأرض، بدأت من زمن الغزو الأوربي للشرق الأوسط وصولًا إلى

(١) عطا الله زايد الزايد: المصدر السابق، ص١٧٢ وما بعدها.

احتلال العراق، والبقية في الطريق، والهدف واحد وهو الوصول هذه المنطقة الغنية بخيراتها وثقافتها ودينها الصالح لكل زمان ومكان، إذا استطاع أصحاب المشروع من التمكن من ثروات هذه المنطقة جغرافيتها، يسهل عليهم التحكم بالسياسة الدولية، ولكن على حساب الوطن العربي.

٢- إن مشروع الشرق الوسط الكبير هو مشروع قائم على المصالح والأهداف الأمريكية الصهيونية، وأن ما يطرحه المشروع ما هي إلا حيل تخفي ما وراءها من الأهداف ما عادت خافية على أحد.

٣- إن من أهم أهداف هذا المشروع إلقاء الهوية العربية والقومية العربية، ومن ثم إلقاء كل ما له علاقة بالأمة العربية، وطمس هويتها، وتكثر في عبارته كلمة دول الشرق الأوسط وشعوب الشرق الأوسط، والغاية واضحة هي إلغاء الانتماء إلى الشعب العربي وحكوماته ومؤسساته في المجتمع المدني، حيث يعلم المشرع لهذا المشروع أن القومية والعروبة هم أساس للأمة العربية وحضارتها على مر القرون، وأن الحضارة العربية أسهمت على مر التاريخ بقسط وافر في رفد الحضارة الإنسانية بكل القيم النبيلة، التي أفادت البشرية، وأن معينها لم ينضب ومستمر، لبناء القدر المشرق الذي تسود فيه قيم الحرية والعدالة وكل ما هو مفيد للبشرية في عالم يجد كل مجتهد حظه، وتكمن خطورة هذه القيم في تعارضها مع المشروع الأمريكي الصهيوني، الذي عنوانه السلب والنهب، ولذلك يتعارض مع المشروع العربي، الذي يرى فيها الغرب تحجيم هذا الانتماء العربي، وإلغاء حركة القومية العربية في صنع حضارتها العربية، التي هي جزء من الحضارة الإنسانية، ولكن القومية العربية هي عنوان وجود، ومن المستحيل محو الوجود، الذى أوجده الله،

وجذوره ممتدة على كل الحقب التاريخية، حتي يومنا هذا وإلى يوم القيامة بإذن الله.

٤- إن خطورة مشروع الشرق الأوسط الكبير هو محاربة الدين الإسلامي، وطمس هذه الهوية الإسلامية، التي هي عنوان وسمة هذه الأمة العربية المنتمية: عقيدةً وثقافةً وحضارة للإسلام، ونسي المنظر الأمريكي أن الإسلام هو من الديانات السماوية الثلاث، التي أنزلها الله على عباده.

٥- أطلق المشرع الأمريكي فرية الإرهاب على العروبة والإسلام من أجل خدمة أغراضه، حيث يعلم في قرارة نفسه من صَنَعَ الإرهاب، وأن أصحاب المشروع البغيض هم من أوجد الإرهاب، حتى يسهل لهم تقسيم المنطقة، وهو ما نراه اليوم، حيث استخدمت هذه العبارة بطريقة فضفاضة وحمالة أوجه.

٦- إن الأهداف الإستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير معروفة، وما عادت خافية على أحد، متمثلة في الآتي: أن تقسيم الوطن العربي من جديد، وجعله كانتونات صغيرة: اثنية وعرقية وطائفية، وإلقاء دور الدول الكبرى فيه كمصر والسعودية والعراق وسوريا، حتى لا تلعب أي دور مؤثر في قيادة الأمة، وحركة القومية العربية، حيث يربط هذا المشروع جميع هذه الدويلات المنشأة حديثًا بإسرائيل، بعد أن تصبح القطب الإقليمي الرئيس في المنطقة، وذلك عن طريق كسر طوق المقاطعة العربية لإسرائيل: اقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا، ومن ثم ومن خلال الدعم المقدم إليها من أمريكا والقوة الغربية، تصبح لها مكونات الدولة الإقليمية المحورية في المنطقة، لما لديها من قوة عسكرية وقوة مالية وتجارية، وقوة تقنية، إضافة لأذرعها الأخطبوطية المتصلة لكل صناع القرار في العالم، مستفيدة من كل الدعم الممكن، وتصبح هي

القوة المسيطرة في المنطقة وبعدها، تحاول تفرض نفسها على الجميع من طمس للهوية العربية والإسلامية حتى يسهل لها التحكم في المنطقة.

٧- يصوغ المشرع لمشروع الشرق الأوسط الكبير الحجج والبراهين، حتى يجد مبررًا لتدخله السافر، يجعل من المنطقة العربية خاصةً والشرق الأوسط بشكل عام مرتعًا للتخلف والفوضى، ولهذا يدعي أنه جاء لتوفير الأمن والاستقرار والسلام والتنمية، لأن توفر الفوضى والحرب يؤثر في حضاراته وأمنه، مع العلم أن سبب الأوضاع المتردية في المنطقة سببه أمريكا وإسرائيل.

٨- إن مشروع الشرق الأوسط الكبير يغض الطرف عما تمارسه إسرائيل من إرهاب الدولة، وإلصاق التهم بالجانب الضعيف، وهم الفلسطينيون، وما تمارسه إسرائيل يعد دفاعًا عن النفس. أم أن قتال الشعب الفلسطيني عن أرضه يعد إرهابًا هو تزوير الحقائق والأشياء.

٩- بدأ مشروع الشرق الأوسط الكبير الحرب بفلسطين، ومن ثم العراق وسوريا، والبقية تأتي في الطريق، يجبرنا المشرع الدخول في الحرب على الرغم عن أنفنا، أو الاستسلام لما يفرضه علينا والقبول بالواقع.

١٠- يحمل المشروع لافتة بداخلها كل العبارات المستهلكة، مثل عدم وجود الحرية والمعرفة وحقوق المرأة إلى الوضع العربي نفسه، مستندًا على تقارير الكتاب العرب المكلفين من الأمم المتحدة، حول التنمية البشرية لعامي ٢٠٠٢- ٢٠٠٣م متناسية أن سبب نقص هذه الحقوق هي أمريكا أولًا، والصهيونية وإسرائيل ثانيًا، والاستعمار الغربي ثالثًا، يريد أن يعالج الموضوع الذي هو تسبب فيه على حساب المنطقة، دون الرجوع إلى الأسباب.

١١- إن مشروع الشرق الأوسط الكبير يتحرك تحت مظلة السعي نحو التطور والتنمية والحداثة للعرب، ولكن في ظل وجود الهيمنة الصهيونية والأمريكية وغيرها، وهذا خلاف تمامًا لما تسعى إليه، إذ لا يمكن تحقق التطور والحداثة والتنمية على أرضية الاستعمار أو الاستغلال أو الهيمنة الخارجية، وهل يعقل أن يقوم المعتدي بخدمة المعتدى عليه؟! وأن يقوم الناهب بمساعدة المنهوب؟! إن الغاية الحقيقية من السعي لبناء حضارة عربية، كما تدعي أنما هو مجرد تغطية لأعمالها وأعمال إسرائيل في المنطقة، وإخفاء اليد المضرجة بدماء الأبرياء، والغاية هي وضع القناع على وجه أمريكا الكالح، لكي تظهر حامية للحريات والديمقراطية وللأمن والسلام والاستقرار في العالم.

١٢- يعتبر صناع القرار في أمريكا وخاصة الذين صاغوا هذا المشروع بأن المقاومة العربية أو الإسلامية، إنما سببها هو الفقر والجهل والجوع، وعندما تقوم أمريكا بمحاربة هذه الآفات إنما تبعد المقاومين عن حمل السلاح في وجه الأطماع الأمريكية والجيش الإسرائيلي المحتل للأرضي العربية وغيرها من البلدان، بينما الحقيقة هي أن المقاومة هي ردة فعل طبيعي لشيء اسمه الاحتلال والظلم.

١٣- إن مشروع الشرق الأوسط الكبير يتعامل مع المجتمعات، ولا يخاطب الحكومات إلا إذا كانت تخدم مصلحته في تفكيك المجتمع، وهذا يعني عدم اعتراف صاحب المشروع بمشروعية الحكومات العربية في منطقة الشرق الأوسط، وهذا اعتداء على سيادة الدول والحكومات، واعتداء على حق الشعوب في تقرير مصيرها وسلطتها.

١٤- إن مشروع الشرق الأوسط يدعم دولة الكيان الصهيوني، بوصفه لها بأنها دوحة الحرية الوحيدة في الشرق الأوسط. هل ما نشاهده من

أعمال بربرية ووحشية يرتقي بها في مصاف الدول الديمقراطية؟! كلا، إن الوحشية والهمجية والعنهجية وإرهاب الدولة الذي تمارسه إسرائيل لا يمت إلى الديمقراطية في شيء.

١٥- تسعي أمريكا من خلال مشروع الشرق الأوسط الكبير إلى السيطرة على الجغرافيا الجيوسياسية والإستراتيجية، لما تمثله هذه الجغرافيا من ثروات طبيعية حباها الله بها، وتمثل هذه المنطقة التقاء القارات الثلاث والممر الاجباري برًّا وبحرًا للتجارة العالمية عبر العالم، ويمثل النفط الهدف الأول في قائمة الثروات، حيث ترغب أمريكا في السيطرة على حقول النفط، حتى تفرض نفوذها بأوروبا الموحدة واليابان والصين والهند على وجه الخصوص.

١٦- إن مشروع الشرق الأوسط الكبير من مهامه الأساسية إحلال ثقافة الاستهلاك في المنطقة، بجعلها تعتمد على الآخر وإنشاء ثقافات وحضارات بديلة للحضارة العربية الإسلامية، وهي المستهدف الأول.

١٧- إن مشروع الشرق الأوسط الكبير من أهدافه إنشاء دويلات اثنية وعرقية وطائفية صغيرة، يسهل التحكم فيها، وتقسيم البلاد التي تمثل مراكز القوة العربية: العراق سوريا، والبقية تأتي بغية إضعافها، حتى لا تلعب دورًا في محيطها الإقليمي. الجميع بمنظمة التجارة العالمية، ولكي تصبح إسرائيل دولة ليست غريبة عن النسيج العام، بعد زوال القوميات والوطنيات والثقافات، وهكذا تزيل أمريكا عن المنطقة كل مكوناتها الثقافية والحضارية، وتزيل عنها الهوية، كل ذلك من أجل إسرائيل.

١٨- إن أبرز ما جاء به مشروع الشرق الأوسط الكبير من عناوين يمكن تلخيصها في ثلاث قضايا:

هي: ١- الحرية. ٢- المعرفة. ٣- حقوق المرأة. كما جاء بثلاث حلول لها، هي عن طريق الإصلاح، عبر تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح، وهم الذين وئدوا الديمقراطية في مهدها: حكومة حماس والإخوان المصريين في العهد القريب خير شاهد، وبناء مجتمع المعرفة، وتوسيع الفرص الاقتصادية، وحرية المرأة ودورها التنموي. وهذه القضايا جميعها يمكن معالجتها داخليًّا، لكن أمريكا ما وضعت هذه القضايا إلا كي تجد لها فرصة تحشر فيها نفسها في هذه المجتمعات[١].

تدخل إيران في سوريا:

وقفت سوريا الأسد مؤيدة لإيران في حربها على العراق، فأمدت إيران بالمال والمعلومات، وبدأت إيران في نشر مذهب التشيع الإثنا عشري في سوريا منذ سنة ١٩٨٥م عن طريق بعثاتها الدبلوماسية، ونشر المراكز الدينية، وما يسمى بالمستشارية الإيرانية، وفي المدارس عن طريق مراجع دينية تقوم بعمل صلات دراسية، ورحلات علمية بين البلدين، تركزت حول ضريح السيدة زينب بدمشق، ثم انتشرت في حمص وحماة واللاذقية وحلب، وفي سنة ١٩٠٦م عقدت حكومة الأسد مع إيران تحالفًا إستراتيجيًّا، عزز مزيدًا من النفوذ الإيراني في سوريا وانتقاله إلى لبنان، ولوضوح هذه الظاهرة وانتشارها، وحصول رد فعل تجاهها قامت بعض الجهات بدراسة علمية لها، منها الدراسة التي قام بها مجموعة من الأستاذة السوريين المتخصصين في مجالات عدة: اجتماعية واقتصادية، موَلتها حركة العدالة والبناء، ونشرتها في لندن تحت اسم عملية التشيع في سوريا من عام ١٩٨٥- ٢٠٠٦م دراسة اجتماعية- إحصائية خلصت إلى النتائج التالية:

---

(١) موفق محمد النقيب: (مشروع الشرق الأوسط الكبير لعبة الأمركة المتصهينة)، ص١٨٨وما بعدها، دار الرئي، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨م.

١- تشيع أكثر من ٦٠ ألف شخص من مختلف البيئات، منهم ٢٪ من السنة، و٧٠٠٠ شخص من الشيعة الإسماعيلية، والباقي من المذهب العلوي، ولم يتشيع أحد من المسيحيين أو من الدروز.

٢- إن المتشيعين من السنة كانت نسبة منهم من أسر شيعية قديمة، وآخرين تشيعوا لأسباب أو دوافع الزواج.

٣- وفي تقرير آخر للمعهد الدولي للدراسات السورية، الصادر سنة ٢٠٠٩م، يذكر أن السنة المتشيعين ما بين سنة ١٩٩٩م إلى ٢٠٠٧م بلغ ١٥٩٣٠ شخصًا، معظمهم في (الرقة - ودير الزور - والحسكة).

وعمومًا، فإن النفوذ الإيراني قد طغى على الوسط الاجتماعي، فأصبح شيوخ الدين الإيرانيون يقودون الاحتفالات في جميع المناسبات الشيعية، ويسبوا صحابة رسول الله ﷺ في الحسينيات والمساجد، في حين يمنع علماء السنة من تدريس القرآن في المساجد إلا بتصريح خاص. ولما قامت الثورة السورية ضد الأسد في مارس سنة ٢٠١١م أفتى مرجع إيران علي خامنئي بأن هذه الثورة من صنع إسرائيل والعالم الغربي، وقد أرسلت إيران خبراءها ومستشاريها وجنودًا من فيلق القدس لمساعدة الأسد ضد الثوار، كما حرضت العراقيين من المليشيات الشيعية على الدخول إلى سوريا، وكذلك أفرادًا من حزب الله اللبناني، لتستمر آلة القتل وسفك الدماء، كل ذلك بدوافع طائفية توسعية، جانبت الوقوف مع المظلومين، وستكون نقطة سوداء في تاريخ التشيع الحديث، ولهذا بادر كثير من شيعة لبنان والعراق إلى الاعتراض على هذه الحرب، التي لا هدف لها غير التخريب وقتل الأبرياء[1].

---

(١) السيد أبوداود: تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي، ص٢٣٣ وما بعدها، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٤م، ود. عبدالله محمد الغريب: وجاء دور المجوس، ص٤٠١، ط٥، ١٩٨٧م.

تدخلات إيران في الإمارات العربية المتحدة والجزر الثلاث:

لإيران علاقات قديمة مع شيوخ تلك الجزر، اتسمت بالعداء والمصالحة على تلك الجزر، التي أضحت فيما بعد بؤرة نزاع، لها جزور تاريخية، ومن هذه الجزر الثلاث التي تقع على مضيق هرمز الذي يصل بين خليج عمان والخليج العربي أن الأهمية الإستراتيجية لهذه الجزر ينبع من إشرافها على حركة المرور في منطقة الخليج العربي، الذي يمر عبره ٨٦٪ من نفط الشرق الأوسط عبر شواطئ الجزر الثلاث، حسب دراسة لخبراء الاقتصاد والسياسة في مركز الدراسات الإستراتيجية الدولية في جامعة جورج تاون الأمريكية، وهذه النسبة حسب الدراسة تشكل نصف الطاقة، التي يعتمد عليها العالم في صناعته واقتصاده وحياته اليومية، وهذه الجزر هي:

١. **جزيرة أبو موسى**، تقع على بعد ٩٤ ميلًا من مدخل الخليج العربي عند مضيق هرمز، وتبعد حوالي ٧٠ كم عن الساحل الإيراني، وتبعد عن الساحل العماني ٤٨ كم، قبالة إمارة الشارقة، ويبلغ طولها حوالي ٥ كيلومترات، وعرضها ٢-٣ كم.

٢. **جزيرة طنب الكبرى**، تقع على بعد ٥٩ كم جنوب غرب جزيرة قشم، وعلى بعد ٧٨ كم شمال غرب جزيرة الحمراء، وتقع شمال شرق جزيرة (أبو موسى)، وتبعد عنها ٥٠ كم، وتبعد عن إمارة الشارقة ١٠٠ كم، وهي تقابل إمارة رأس الخيمة، ويكون شكلها دائريًّا، ويبلغ طول قطرها ما يقرب من ٣ ونصف كم، ومساحتها حوالي ٩ كم مربع، أما طولها فهو ١٢ كم، وارتفاعها ٦١٥ قدمًا عن مستوى سطح البحر، وموقعها متحكم في الخليج العربي، وفي السيطرة على مدخل المحيط الهندي إلى الخليج العربي.

٣. **جزيرة طنب الصغرى**، تبعد ٩٠ كم عن الساحل العربي، و١٣ كم عن طنب الكبرى، وهي على شكل مثلث، طوله ٢ كم وعرضه واحد كم، وفى سنة ١٩٧١م قامت إيران باحتلال هذه الجزر المهمة من الناحية الإستراتيجية في الوقت الذي كانت فيه جزيرة (أبو موسى) تحت سيادة إمارة الشارقة. أما جزيرتا طنب الكبرى وطنب الصغرى فكانتا تحت سيادة إمارة رأس الخيمة. ومن المهم أن بريطانيا قبل انسحابها من الخليج عام (١٩٦٨-١٩٧١م) توصلت إلى اتفاق مع إيران حول مطالبها الإقليمية في الخليج العربي، ترتب عليه تخلي إيران عن مطالبتها بالبحرين، والاعتراف بها دولة مستقلة، واعتراف إيران بدولة الإمارات العربية المتحدة، وسيطرت إيران على جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى، وتوصلت إيران إلى تفاهم مع إمارة الشارقة حول السيادة المشتركة على جزيرة (أبو موسى)، وهذا تمت التسوية على الجزر، كما صرح بذلك المفاوض البريطاني حينذاك وليام لوس، ويمكن أن ترجع جذور المشكلة إلى القرن التاسع عشر، عندما احتلت إيران جزيرة لنجة ١٨٨٧م بدأت مطالبتها بجزيرة (أبو موسى)، ولكن رفض بريطانيا وقتها بأن الجزر عربية، يملكها شيوخ العرب، الذين يرتبطون بمعاهدات خاصة مع بريطانيا، وهم تحت الحماية البريطانية، وهى مسؤولة عن شؤونهم الخارجية، وهناك دافع إستراتيجي يكمن من وراء احتلال إيران لهذه الجزر، وهو يمكنها من السيطرة التامة على هرمز، والتحكم في الخليج العربي، ومن المهم أن دولة الإمارات العربية تملك من الحجج القانونية والتاريخية، التي تثبت ملكيتها لهذه الجزر، منها:

١- سكان تلك الجزر، هم من العرب، تجمعهم مع سكان الإمارات الأصول العشائرية والقبلية والروابط العائلية واللغة والعادات.

٢- يؤكد السجل تبعية الجزر الثلاث لإمارتي رأس الخيمة والشارقة.
٣- كانتا إمارة رأس الخيمة والشارقة تمارسان السيادة الفعلية على هذه الجزر، المتنازع عليها لمدة تزيد عن قرنين كاملين[١].

وفى التاريخ الحديث يرى رياض نجيب الدور العربي البطولي القومي، الذى لعبه حاكم إمارة الشارقة الشيخ خالد بن محمد القاسمي، الذى تعدى الحلم من انتقال الشارقة من قرية صغيرة في عام ١٩٦٥م إلى مدينة كبيرة واسعة اقتصاديًّا ونفطيًّا، بل تعدى حلمه هذا كله، حتى انتقل إلى هم الوحدة. كانت فكرة الوحدة هي همه الأول، وأن المستقبل في الاتحاد بنسبة للإمارات من الأطماع المحدقة بها من الإيرانيين، وهو المظلة الوحيدة التي تؤمن سلام الخليج، وكانت بينه وبين إيران مشكلات، لكن كلما طالبت إيران بجزيرة (أبو موسى) التابعة له تجعله يتعلق بالوحدة وبمستقبل الاتحاد، وهو ضامن لأمن المنطقة. لكن الشيخ خالد نسي تاريخ قبيلته القواسم أو تناسى، وكان يعلم بأن ابن عمه الحاكم السابق الشيخ صقر بن سلطان القاسمي يتآمر عليه، لكن الذي لم يتوقعه هو أن يصل هذا التآمر درجة الجنون، حتى يضع له قنبلة في مجلسه، وينجو من الحادث ١٩٧٠م، ونسي أن التاريخ يمكن أن يعيد نفسه، لكنه ظن أن الزمن كفيل بأن يغير طباع قبيلته وسلوكها، لكن خاب ظنه، وتم قتله في محاولة انقلابية لاحقة في عام ١٩٧٢م، وبعد موته تحركت الفكرة الاتحادية، وبدأت تتحقق أول معالمها بإعلان دولة الإمارات العربية المتحدة، من (أبو ظبي) ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين، وظلت رأس الخيمة خارجة عنها، هكذا قال صاحب الكتاب قبل موته. كان الشيخ خالد يرجو أن يفهم حكام الإمارات أن بقاءهم مرهون بتوحدهم، وأن استقرارهم مربوط باتحادهم، وكان هناك عداء بينه وبين حاكم دبي الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، وهو عداء تاريخي

(١) د. الضاري سرحان الحمداني، ص١٤٨ وما بعدها، المصدر السابق.

وعصري، تاريخيًّا نتيجة الحروب التي بين القواسم وآل مكتوم في أواخر القرن التاسع عشر، وعصريًّا للتنافس التجاري والتنموي. وفى المكالمة الهاتفية الأخيرة بينهما كان يستنجد بالشيخ راشد آل مكتوم على الرغم من العداء الذي كان بين الشيخين، إلا أن أواصر الدم جعلت الشيخ خالد بن صقر يطلب من الشيخ سعيد آل مكتوم النصرة والنجدة، وكان ابن الشيخ راشد هو الذي قمع الانقلابين، وتم اعتقال المتآمرين، وقُتِلَ الشيخ خالد، وقدم مهجته ثمنًا للاتحاد فيما بعد، وهو ثمن غالي، ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر، والتاريخ وحده هو الحكم المنصف والخصم الظالم، وأيامه طويلة، وذاكرة الناس ضعيفة، ثم خلفه إخوة الشيخ سلطان بن محمد القاسم.

لكن من أهم الأحداث بعد وفاة الشيخ خالد بن محمد القاسم هو انضمام إمارة رأس الخيمة التي كانت رافضة من قبل بزعامة الشيخ صقر بن محمد القاسم، ولكن بعد وفاته الشيخ خالد على ما يبدو استشعر الشيخ صقر الخطر وجنح إلى رأي الأقلية، وانضم إلى حظيرته من غير شرط، ولكن المهم في الأمر حسب رأي الكاتب رياض نجيب الريس كاتب كتاب مصاحف وسيوف إيران: أن هناك صفقة تمت بين الشيخ صقر حاكم رأس الخيمة، ونظام الشاه باعه بموجبها جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى بمبلغ لم يتعد الثلاثة ملايين إسترليني، وكان ما يؤكد ذلك هو معلومات المراقبين: أن إيران أهدت الشيخ صقر عددًا كبيرًا من السيارات الأمريكية واليابانية، وقامت إيران بفتح فرع لبنك صادرات إيران، وفتح عدد من الإيرانيين متاجر لهم في رأس الخيمة، ولكن الشيخ صقر نفى هذا الأمر بعد ما استوضحته الكويت في ذلك. وفى تلك الأثناء عجزت الشركة شل هايدوروكاربونز عن اكتشاف النفط بكميات تجارية، ومطالبة حكومة عمان الانقلابية الجديدة برئاسة قابوس بن سعيد، الذى بدأ بحركة التغيير الكبيرة في بلاده، بإعادة حدودها مع إمارة رأس الخيمة أمام

كل هذه العوامل لم تجد رأس الخيمة إلا علاقتها الخاصة بالمملكة العربية السعودية في الاعتماد عليها. هذه العلاقة القائمة تاريخيًّا على الرابطة الدينية المتمثلة في المذهب السلفي، الذى يربط السعوديين والقواسم وإمارة الشارقة ورأس الخيمة، التي شكلت تحالفًا غير مباشر، وحلفًا دينيًا غير معلن، انضمت إليه قطر السلفية المذهب في فترة ما اثناء المفاوضات الاتحادية في الستينيات وقدمت السعودية خدمات جليلة لهذه الامارة متمثلة بشارع اسفلت على طول الساحل وتسليح قوة دفاع رأس الخيمة وبناء مدرسة ومستشفى وتمويل عدد من المشروعات الصغيرة ومن خلال النظرة التاريخية قد يكون لسعودية دور كبير في الامن الخليجي على دول الخليج والمنطقة العربية عمومًا لما تمثله من أهمية إستراتيجية واقتصادية ولما يتمتع به حكام المملكة العربية من حنكه وسياسة النفس الطويل اتجها القضايا العربية والإقليمية في المنطقة ولهم تاريخ رائد في هذا الشأن[1].

تدخلات إيران في بقية الدول العربية:

حاولت إيران في كل من الأردن ومصر والسودان والجزائر والمغرب ودول أخرى إسلامية، ولهم في هذا أساليب عدة حسب ظروف كل بلد، وهذه الأساليب تنحصر فيما يلي:

- **أولًا:** يتجه نشاطهم نحو الأقلية الشيعية الموجودة في البلد، وإحياء مذهبها الشيعي حتى وإن كان قديمًا، ففي الأردن اتجهوا إلى قبيلة حرب والشرارة وبرجاوي وبيضون وسعد ديباجة وفردوس وجمعة والبزة، وفي الجزائر إلى الأمازيغ من البربر.

(١) رياض نجيب الريس: (مصاحف وسيوف إيران من الشاهنشاهية إلى الخاتمية)، ص٣٥١ وما بعدها، المكتبة البريطانية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

- **ثانيًا:** يتجهون أيضًا إلى الجمعيات الإسلامية في البلاد التي تقترب من أفكارهم خاصة الجمعيات الصوفية بدعوة التقاء التصوف والتشيع بتمجيد آل البيت، كما حصل ذلك في السودان خاصة ومصر.
- **ثالثًا:** نشر الكتب الشيعية والمجلات والنشرات وإنشاء المكتبات وإمدادها بالمال والكتب وإقامة معارض للكتاب.
- **رابعًا:** إرسال المعلمين والوعاظ واستغلال فكرة السياحة وزيارة قبور الأولياء، لنشر مذهبهم في تلك المناطق.
- **خامسًا:** استقدام طلبة العلم الديني خاصة من تلك البلاد وتدريسهم مذهب التشيع في قم وغيرها، وإعدادهم لتنفيذ أغراضهم السياسية والمذهبية.
- **سادسًا:** إنشاء مراكز ثقافية وحسينيات ومدارس حسب ما يتيسر لهم وتنشط بعثاتهم الدبلوماسية في تنفيذ تلك الأغراض. مما تضطر بعض الدول لقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران، كما حصل في المغرب سنة ٢٠٠٩م والسودان في العام ٢٠١٦م.
- **سابعًا:** تستغل إيران أيضًا الطلبة الشيعة الذين يدرسون في الخارج خاصة في أوروبا وأمريكا والشيعة منهم على تجنيدهم لنشر التشيع في بلادهم بعد رجوعهم من دراستهم فقد كشفت المخابرات المغربية سنة ٢٠٠٤م جهود الإيرانيين في تجنيد طلبة مغاربة لنشر التشيع في المغرب. (السيد أبوداود: تصاعد النفوذ الإيراني في العالم العربي - ص٢٩١-٢٩٢).
- **ثامنًا:** استخدمت إيران بعض الشيعة العرب من العراق ولبنان في نشر التشيع خاصة عن طريق المدارس التي يدرسون فيها.

ونسأل: هل نجحت إيران في تصدير ثورتها عن طريق تلك التدخلات؟ والجواب: بعد هذه السنين أدخلت إيران نفسها في عزلة وعداء مع العالم الخارجي، وبسبب تصدير الثورة على شكل يتمثل بنشر مذهب الشيعة الإثنا عشرية، فإن ذلك لم يكن مرحبًا به في الأوساط السنية، فجميع بلاد العالم الاسلامي من السنة قد رفضت سياسة إيران واستخدامها مذهبها الديني الشيعي، ويمكن القول تلك السياسة كان مرحبًا بها جزئيًّا الأقليات الشيعية في البلاد السنية، فمن الواضح ان أكثرية هؤلاء الشيعة وجدوا أنفسهم في تناقض بين المذهب والمصلحة، وقد فضلوا مصالحهم على الانسياق إلى ما ترغب إيران به، ومع ذلك فقد كانت هذه السياسة مصدر توتر بين إيران وبلاد السنة من المسلمين، كما عملت هذه السياسة في العراق خاصة على تمزيق العراق بين سنة العراق وشيعتهم، وهذا في الأخير يعد فشلًا للسياسة الإيرانية، التي تحالفت مع القوى المعادية، وشاركت في تمزيق العراق وتقسيمه إلى فئات متخاصمة، بل إن عدوى التخاصم شملت شيعة العراق أنفسهم حيث انكشف لأكثرهم أن إيران تستخدم مذهب التشيع لأغراضها السياسية والاقتصادية، ولم تسهم في رفع المستوى الاقتصادي للعراق، بل ظل مدمرًا بعد الحرب، وساهمت إيران في استغلال واغتصاب ثرواته النفطية. والحال تبدو أسوأ في سوريا، حيث تتدخل إيران مباشرةً في قتال مجموع السوريين، وتساهم في تهجيرهم وخراب بلادهم منتصرة إلى قلة من العلويين الشيعة، فوضع هذا حاله لا يمكن أن يؤدي إلا إلى فشل ذريع في سياسة إيران الخارجية، وقل الحال كذلك في لبنان، حيث قامت بجر الشيعة اللبنانيين من حزب الله إلى مقاتلة إخوانهم العرب، مما جعلت العقلاء في حيرة في كيفية الخروج من هذه المأساة، التي طال حلها، وسببت للعالم العربي والإسلامي أضرارًا فادحةً، سيكون لها الأثر البالغ في مستقبل العلاقات العربية الإيرانية، فلم تسهم إيران في إطفاء الحرائق المذهبية المشتعلة، بل ساهمت في توسيع انتشارها وتعضيد مشعليها بالمال والسلاح، كما هو الحال في

اليمن أيضًا، وعمومًا فإن سياسة التدخلات وتصدير الثورة التي كان يراد منها نشر الإسلام وانتشال المستضعفين من السقوط تحت الأقوياء كما تدعي إيران، كل ذلك عمليًّا يبدو فاشلًا فشلًا ذريعًا، تسببت إيران أيضًا حينما أدركت فشلها استدعاء القوى الأجنبية في المنطقة خاصة روسيا[1].

تطرف إيران في سياستها الخارجية:

تحت شعار الاستقلال والإسلام والحرية ومناصرة المحرومين والضعفاء رفعت إيران بعد الثورة شعارات وقامت بأعمال في علاقاتها الخارجية في شكل متطرف، ويخرج عن قواعد الأعراف الدولية، وينص الدستور الإيراني على أن مرشد الثورة هو الذي يرسم السياسة الخارجية، ويكمن رصد تلك المظاهر بما يلي:

١. الخطابات والتصريحات المعادية خاصة من قبل المحافظين كوصف أمريكا وإسرائيل بالشيطان الأكبر، وادعائها مناصرة القضية الفلسطينية.

٢. حجز الرهائن الأمريكيين في السفارة الأمريكية بطهران مدة طويلة، وجعل هذا العمل موضوعًا للمساومة والابتزاز.

٣. إصدار فتوى بمشروعية قتل الكاتب البريطاني سلمان رشدي على ما كتبه في كتابه (آيات شيطانية)، وأن يدفع لقاتله مبلغًا كبيرًا، واستغلال هذا الموضوع لاستدرار مناصرة العالم الإسلامي لإيران، وأنها تدافع عن رسول الله ﷺ. والدليل على استخدام هذا الموضوع بشكل سياسي قامت إيران مؤخرًا بنسخ وإبطال هذه الفتوى إرضاءً للأوروبيين وبحسب مصلحتها.

---

(١) جميل الذيابي: إيران ورقصة السرطان، ص٨٦ وما بعدها - مكتبة العبيكان، ط ٢، الرياض، ٢٠١١م.

٤. تناوب على الحكم المحافظون والإصلاحيون وكان العالم ينتظر من الإصلاحيين الانفراج في العلاقات مع إيران وتوقفها عن التدخل في شئون الغير، ولكن إيران استخدمت رفسنجاني ومحمد خاتمي بوصفهم إصلاحيين، واستمرت بدهاء في سياستها الخارجية، ومشروعها النووي في وقت صدقها العالم، أنها قد غيرت سياستها المحافظة.

٥. تتبنى إيران السياسة المعادية عادة إلى السنة خاصة في البلاد العربية، وتدعي بأنها لا تخاصم السنة جميعهم، وإنما خصومتها مع الإرهابيين، محاولة منها في الاصطفاف مع أمريكا والغرب في تلك التوجهات، ويبدو أن هذا هو سر تراخي السياسة الأمريكية والأوروبية تجاه إيران، وتمددها في العراق والشام ولبنان واليمن والبلاد الأخرى. كما أن إسرائيل تشجع على إثارة الخلافات السنية الشيعية، وإعادة تقسيم البلاد، ليسهل على إسرائيل التحكم في المنطقة وبما يتفق أيضًا مع توجهات المسيحية المتصهينة.

٦. حاولت إيران بناء علاقات مع دول عدم الانحياز للاستفادة منها في التصويت في الأمم المتحدة، ولإظهار أنها دولة غير منحازة، وأنها كما تدعي لا تتدخل في شؤون الغير.

٧. تهدد إيران من أي عدوان عليها سيجابه بإغلاق مضيق هرمز، حيث تتضرر الدول التي تشتري النفط والغاز الإيراني، وكذلك تتضرر الدول الواقعة على الخليج العربي، وقد بنت إيران سياستها الخارجية في ظل ظروف البيع لنفطها وغازها، حيث يعد مصدرًا مهمًّا لاقتصادها، وقد نظمت شبكة من المكاتب الاقتصادية لبيع نفطها وغازها تحت مسميات مختلفة، هروبًا من الحصار المفروض عليها، وقد أضحت الهند والصين من أوائل الدول التي تشتري نفط إيران.

٨. لإيران تمثيل دبلوماسي واسع في ٩٩ بلدًا، تنشط سفاراتها في تمثيل وتطبيق سياسة إيران، وخاصة ما تعلق منها بنشر التشيع المذهبي، والاتصال بالجماعات الشيعية في تلك البلاد، وتأييد أنشطتها وإمدادها بما تحتاج إليه من دعاية ومعلومات وكتب ونشر وإنشاء المساجد والحسينيات الشيعية. إضافةً إلى مهام السفارات المتعلقة بالاقتصاد والثقافة، واتهمت إيران بأنها تأوي في بعض سفاراتها من ينفذون الاغتيالات لأشخاص معادين لإيران كما في برلين وسويسرا وباريس وفيينا.